

كتاب الشعب

المجتمع وثقافة العمران

دكتور مهندس

يحيى وزيرى

١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م

المحتويـــــات

الموضـــــوع	الصفحة
مقدمة:	٥
الفصل الأول	
هموم العمارة والمعماريين.........................	٧
* فن العمارة وتجاهل إعلامى	٨
* رسالة من معمارى إلى المسئولين بالتليفزيون...	١٠
* المعمارى المصرى وهموم متشعبة.............	١٢
الفصل الثانى	
محنة العمارة المصرية المعاصرة......................	١٥
* المبانى المكتبية وعقدة الخواجة..............	١٧
* الأبراج السكنية مشكلة وليست حلاً لمشكلة..	٢٠
* حتى لا تتكرر أخطاء تجربة الإسكان الشعبى...	٢٤
* سوبر ماركت التصميمات......................	٢٧
الفصل الثالث	
حسن فتحى رائد العمارة المصرية فى القرن العشرين....	٣١
* ماذا ينتظر المعماريون؟	٣٣
* مقلدون نعم.. معماريون لا..................	٣٦
* بعد رحيل حسن فتحى.. كيف نستفيد من تجربته؟	٣٨

الموضـــوع	الصفحة

الفصل الرابع

قيم روحية فى عمارة المجتمع ٤٠
* المأوى أنواع.............................. ٤٣
* كيف يبدع وينتج... من لا مأوى له؟ ٤٦
* قمة الجمال المعمارى كأروع ما يكون.......... ٤٩
* السقف المرفوع ٥١
* خصوصية بيت المسلم...................... ٥٤
* العمارة الإسلامية توفر حقوق الخصوصية والتمتع.................................. ٥٧
* تطبيق القيم الإسلامية فى العمارة السياحية... ٦٢
* خصوصيات عمران مكة أرض الله الحرام....... ٦٦

الفصل الخامس

أحلام معمارية قابلة للتطبيق ٦٩
* مساكن.. لا مخازن........................ ٧٠
* العمران حول ضفاف النهر.................. ٧٤
* حماية البيئة فى مناطق الإسكان العشوائى.... ٧٧
* كيف يمكن الاستفادة من أسطح المساكن؟ ٧٩
* التصميم المعمارى فى خدمة المعوقين.......... ٨٢
* الوجه الإسلامى يعود للقاهرة................ ٨٥
* اللغة المعمارية وخصوصيات «توشكى»....... ٨٨

الموضـــوع	الصفحة

الفصل السادس

تأملات فى عمارة المساجد ٩٣

* خصوصيات عمارة المسجد الحرام ٩٥
* دروس معمارية مستوحاة من عمارة المسجد النبوى ٩٩
* كيف تبنى مسجداً ؟ ١٠٤
* لماذا تتعدد بعض المحاريب فى بعض المساجد ؟ ... ١١٢
* الأعمدة والعقود فى العمارة الإسلامية ١١٦
* المآذن والقباب فى العالم الإسلامى ١١٩

الفصل السابع

اتجاهات معمارية عالمية ١٢٥

* الحداثة وأخواتها ١٢٧
* العمارة التفكيكية .. محاولة للفهم ١٣٢
* العمارة الخضراء ١٣٦

* **السيرة الذاتية للمؤلف** ١٤٢

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمــة

الحديث عن "فن العمارة" حديث ذو شجون يكمن فى الكشف عن الجوانب الإبداعية لهذا الفن الراقى وأهميته فى إغناء الثقافة بمفهومها الواسع بصفة عامة، والثقافة الفنية والتشكيلية بصفة خاصة بالإضافة إلى توضيح الجوانب الاقتصادية والاجتماعية لهذا «الفضاء المحصور بين الجدران» والذى يُعرف باسم فن العمارة.

والعمارة لها وضع خاص تنفرد به عن باقى الفنون سواء كانت تشكيلية أو غيرها ، فالمبنى الذى يقام فى المدينة سيراه كل أفراد المجتمع جميلاً كان أو قبيحاً، أراد الناس رؤيته أم لم يريدوا ، كما أنه قد يزيد من جمال البيئة الحضرية أو يسىء إليها، ومن جانب آخر فإن العمارة تمثل واجهة صادقة لثقافة المجتمع والتى تعتبر محصلة لتفاعل ذكاء الإنسان وفكره ووجدانه مع البيئة التى يعيش فيها.

وبالرغم من أن العمارة تعتبر من أقدم وأهم الفنون والنشاطات الإنسانية التى لا غنى للبشر عنها حيث تنظم سُكْناهم وأماكن عملهم وتخطط مدنهم وقُراهم ، فلقد ظل التباعد بين المعماريين والمثقفين أو الجمهور العادى مثاراً للدهشة كما يشكل علامة استفهام كبيرة ، كما أن الكتابة أو القراءة عنها ربما يكتنفها بعض الغموض وقلة المعرفة لدرجة أن البعض من غير المتخصصين لا

يستطيع أن يفرق بين المهندس المعمارى والمهندس الإنشائى وما يؤديه كل منهما من عمل ، أو الفرق بين عملية تصميم المبنى وعملية تنفيذه ، واختلطت المفاهيم والأوراق بغرابة شديدة .

من هنا تظهر أهمية التواصل الثقافى والفكرى بين المعماريين والمجتمع بمختلف قطاعاته من أجل نشر الوعى المعمارى والفنى ، وإيماناً منى بهذا المبدأ الهام فقد أُتيحت لى الفرصة لأن أكتب فى الصحافة المصرية ، خاصة بجريدة الأخبار ، العديد من المقالات المعمارية بدءاً من عام ١٩٨٧ وحتى عام ١٩٩٩ من أجل زيادة الوعى المعمارى والعمل على زيادة الارتباط بين جمهور المثقفين وفن العمارة .

وقد رأيت أن أستعين بالعديد من الأفكار والكلمات التى وردت بهذه المقالات بالإضافة للعديد من الأفكار الجديدة ومزجهما معاً فى شكل جديد ومن خلال عدة فصول بحيث يناقش ويوضح كل فصل قضية معمارية واحدة بحيث تعطى هذه الفصول فى مجملها جرعة معمارية ثقافية بأسلوب ولغة سهلة من أجل الاقتراب من فهم فن العمارة وبعض جوانبه مما يكون له أكبر الأثر فى خلق التواصل بين المجتمع المصرى والعربى وثقافة العمران .

المؤلف

الفصل الأول

هموم العمارة والمعماريين

العمل أو المنتج المعمارى هو حصيلة تعاون وتفاعل بين قطاعات ثلاثة : المعمارى الذى يقوم بتصميم المبنى والإشراف على تنفيذه، والمالك أو الجهة صاحبة المشروع والتي تموله ماديا ، وأخيرا المقاولين والحرفيين بمختلف تخصصاتهم والذين يقومون بتنفيذ المبنى كما تخيله المعمارى المصمم وتحت إشرافه، وأى خلل أو تقصير من أى جانب من الجهات الثلاثة السابقة ينعكس بالسلب على المنتج المعمارى النهائى ألا وهو المبنى.

وإذا كان دور الجامعات والمعاهد الهندسية المتخصصة ينصب أساسا على القيام بتعليم وتأهيل وتخريج المهندسين المعماريين للقيام بدورهم بالمساهمة فى عمليات البناء والتعمير ، وإذا كانت بعض مراكز التدريب المهنى والحرفى إلى جانب مشاريع التشييد المنتشرة هى خير مكان لاكتساب الحرفى لأصول الصنعة والخبرة على مر الوقت ، فإننا نرى أن وسائل الإعلام المختلفة يجب أن تأخذ دورها الريادى لتعريف أصحاب المشاريع والجمهور العادى بالجوانب المختلفة لفن العمارة من أجل الرقى بالتذوق الفنى لديهم حتى يتمكنوا من التفرقة بين ما هو جميل وقبيح فى الأعمال والمبانى المعمارية بصفة خاصة وتكاملها مع الفنون التشكيلية الأخرى بصفة عامة.

فن العمارة.. وتجاهل إعلامى

إذا كان المسرح هو «أبو الفنون» فإن العمارة هى « أم الفنون» بل إنه لا يوجد فن عايش الناس والتصق بهم منذ بدء الخلق كفن العمارة فالإنسان كان ولا يزال يحتاج إلى مأوى يسكن فيه مهما كان بسيط الشكل والتصميم ولا يستطيع أن يعيش بدونه بأى حال من الأحوال ، كما أنه يحتاج إلى مأوى آخر يؤدى فيه أعماله ويمارس من خلاله مهنته.

وما بين السكن والعمل توجد بيئة معمارية خارجية تربط بينهما وهى فراغات المدينة من شوارع وأماكن مفتوحة وحدائق والجدران الخارجية للمبانى المختلفة والتى تشكل هذه الفراغات والميادين.

وبالرغم من ذلك فإن الكثيرين سواء كانوا من العامة أو من الطبقة المثقفة ليست عندهم القدرة على التذوق المعمارى السليم للتفرقة بين ما هو جميل وقبيح فيما يحيط بهم من عمائر مختلفة فى الأشكال والطرز والألوان ومواد البناء.

وهذا لا شك ناتج عن عدم المعرفة الصحيحة بفن العمارة ولقد شاركت وسائل الإعلام على جميع مستوياتها فى عدم تعريف المجتمع بفن العمارة،كأحد الفنون التشكيلية الرائدة، ففى الصحافة على سبيل المثال أبواب للتعريف ببعض الفنون التشكيلية كالتصوير والنحت وأبواب أخرى للمسرح والموسيقى

والأدب والسينما، بل ونقاد متخصصون لتوضيح العمل الفنى الجيد من الردىء فى حين أننا لا نكاد نجد ذكراً أو نقداً للحركة الفنية المعمارية بمصر.

وما ينطبق على الصحافة ينطبق على التليفزيون أيضاً والذى يمكن أن يقوم بدور هام لتنمية التذوق المعمارى السليم عند عامة الجمهور.

إن تجاهل وسائل الإعلام لفن العمارة ساهم فى تدنى التذوق الفنى والجمالى لدى الجمهور، كما أنه أتاح الفرصة لبعض المعماريين أن يشوهوا الوجه الجميل لمدننا بما يصممونه من مبان لا ترقى إلى أى مستوى فنى حيث لم يجدوا رقابة عليهم من المجتمع لعدم وجود الوعى الفنى لدى العميل أو الجمهور بصفة عامة.

لذلك فإن علينا فى الوقت الحاضر أن نوازن بين المعادلة الصعبة التى نعيشها من حيث الاحتياجات الملحة للمجتمع لتوفير المسكن وبين رفض المجتمع لكل ما هو قبيح ودخيل على الذوق المصرى وتشجيعه للفن المعمارى الراقى النابع من بيئتنا وعاداتنا وتراثنا وتوجيه الحركة المعمارية بوعى من أجل عودة الوجه الحضارى لمدننا ومبانينا، ولا شك أن لوسائل الإعلام دوراً هاماً لتحقيق هذا المطلب.

رسالة من معماري إلى المسئولين بالتليفزيون
« لوحة وفنان » .. وأيضا « مبنى ومعماري »

السادة المسئولون عن التليفزيون المصرى .

تحية طيبة وبعد . . .

بصفتكم المسئولين عن أهم وأخطر جهاز إعلامى فإنكم تتحملون قدراً كبيراً من مسئولية الارتقاء بالذوق العام بصفة عامة والوعى الثقافى والفنى بصفة خاصة . وبالرغم من ذلك فإننى أرى منكم اهتماماً جماً بفنون معينة على حساب فنون أخرى مع تجاهلكم التام لفن العمارة "أم الفنون" ولا أرى مبرراً أو سبباً معقولاً لهذا التجاهل .

وبذلك تكونون قد ساهمتم بقدر كبير فى عدم معرفة غالبية الجماهير العريضة بفن العمارة مما جعله وكأنه أحد الفنون الكهنوتية المجهولة والتى لا يجب أن يطلع على أسرارها إلا المعماريون فقط ، هذا مع العلم بأن فن العمارة هو أكثر الفنون التصاقاً بحياة الناس حيث يسكنون فى عمائر ويمارسون مختلف أنشطتهم وأعمالهم فى مبان ، حتى فراغات المدينة التى يسيرون فيها . . فما هى إلا بيئة معمارية تخطيطية أيضاً .

أعزائى من المسئولين عن التليفزيون المصرى .

لا أريد أن أطيل عليكم ، فأنتم على قدر كبير من الوعى والثقافة

بحيث يجعلكم تعرفون أهمية وقدر فن العمارة ومدى مساهمته فى بناء حضارة الشعوب فى أى زمان ومكان.

حقاً إنه توجد بعض المحاولات الجيدة للتعريف بآثارنا المعمارية وذلك من خلال بعض الأفلام التسجيلية التى تعرض على شاشة التليفزيون من حين إلى آخر ولكنها تتناول الجانب التاريخى والأثرى للعمائر، ولكن الذى أتمناه هو أن يُخصَّص وقت يسير من برامج التليفزيون لتعريف الجمهور بالأعمال الجادة لبعض المعماريين المصريين المعاصرين والتى تتوافق مع البيئة المصرية والعربية وتستقى أصوله من تراثنا المعمارى.

وبذلك يكون التليفزيون قد أدى جانباً من رسالته الضخمة فى التثقيف البيئى والمعمارى والارتقاء بذوق الجماهير العريضة وساهم أيضاً فى التعريف بالأعمال المعمارية ذات الطابع المتميز مما يكون له أكبر الأثر فى إيجاد الطابع المتميز للعمارة المصرية المعاصرة.

ومما يعطينا الأمل فى تحقيق هذه الأمنية هو اهتمام التليفزيون بالفنون التشكيلية من خلال البرنامج الناجح «لوحة وفنان» والذى يعرض بالقناة الأولى فلا أقل من أن يبدأ التليفزيون أيضاً ببرنامج مشابه يعرض الأعمال المعاصرة للمعماريين المصريين وليكن اسمه «مبنى ومعمارى».

ولكم منى أطيب التمنيات..

المعمارى المصرى.. وهموم متشعبة

هموم المعمارى المصرى هى نفسها هموم أى مواطن مخلص يريد أن يرى وطنه فى أجمل صورة وأرقى مستوى، ولكن تحول بعض الهموم والعوائق دون تحقيق هذا الأمل على أكمل وجه.

وتبدأ هموم المعمارى المصرى أولاً مع نفسه حيث يجد نفسه دائماً أمام اختيارين، أحلاهما مر، فإما أن يلتزم بمبادئه وأفكاره المعمارية الجادة وبذلك يضحى بالكثير من الأعمال والتى تعتبر فى غالب الأحيان المصدر الوحيد لدخله ومعيشته، أو أن يخضع لأحلام وطلبات العميل والتى غالباً ما تتنافى مع أبسط القواعد التصميمية والمعمارية، وذلك لقلة الوعى الفنى والثقافى لدى العميل مما يجعل لغة الحوار بين المعمارى والعميل شبه معدومة.

أما هموم المعمارى مع بعض المقاولين متشعبة، ولكن أهمها أن المبنى فى نظرهم عمل إنشائى واستثمارى بحت مما يجعل الهم الأساسى للمقاول أو الدخيل على هذه المهنة محاولة إقناع المالك بالتغاضى عن تنفيذ بعض التفاصيل الجمالية خاصة التى تحتاج لكفاءة عالية ودقة فى التنفيذ بحجة تقليل التكاليف وسرعة الإنشاء، وهو فى ذلك يضرب على وتر حساس لدى بعض الملاك والذين لا يهتمون إلا بتحقيق أكبر مكسب مادى بأقل التكاليف ولو كان هذا سيؤدى إلى تشويه الشكل النهائى للمبنى أو حتى سيؤثر على أدائه لوظيفته على أكمل وجه.

وهمـوم المعـمـارى مع الحـرفى عـريضـة وذلك يرجع إلى تـدنى المستوى المهارى لكثير من الحرفيين مما يفقدهم القدرة على تنفيذ لكثير مما يدور بخيال المصمم من تفاصيل أو تشطيبات بالمستوى المطلوب مما يضطره إلى التنازل عن كثير من المواصفات أو تبسيطها ليتأكد من أنها سوف تنفذ ولا تظل خيالاً أو رسماً على الأوراق.

وبالإضافة لكل ما سبق فإن قوانين التنظيم مصاغة بأسلوب معوق لا تساعد أو على الأقل لا تترك الحرية فى غالب الأحيان أمام المعمارى ليقدم الحلول الجمالية والإبداعية لأنها تهتم فقط بنواحى جامدة كارتفاع الواجهات ومساحة المناور ومقدار البروز بالواجهات، وهى كلها جوانب لو تمت صياغتها بوعى ودراسة علمية واضعة فى اعتبارها الظروف المناخية والاجتماعية والاقتصادية لساهمت بشكل كبير فى دفع العملية التصميمية لا فى إعاقتها.

وحتى المسابقات المعمارية والتى تقام أساساً من أجل اختيار الأعمال الجيدة والمبتكرة من خلال التنافس بين زملاء المهنة الواحدة والتى تعتبر متنفساً لكل صاحب فكر معمارى ومبدع وخلاق، أصبحت هى الأخرى تخضع لقانون رقم (٨٩) لسنة ١٩٩٨ بشأن المناقصات والمزايدات.

أى تحولت كل المسابقات المعمارية والتى تخضع لتنظيم الجهات الحكومية إلى "عطاءات" تقدم إلى إدارة المشتريات والمخازن بهذه الجهات، فأصبح على كل مقدم عرض (ولا أقول متسابق) أن

يتقدم بمظروفين أحدهما فنى يحتوى على الرسومات الخاصة بالعطاء (أقصد المسابقة المعمارية سابقاً) والمظروف الثانى يحتوى على العرض المالى يتضمن قيمة الأتعاب التى يطلبها (قيمة الجائزة سابقاً) مع إلزامه بدفع تأمين ابتدائى أيضاً.

ومن جانب آخر فعلى لجان فحص العطاءات (لجان التحكيم سابقاً) أن تتعاقد مع أفضل عرض (تصميم سابقاً) باستيفائه شرطين أساسيين: أن يكون مقبولاً من الناحية الفنية مع تقديمه لأفضل سعر، وبطبيعة الحال ففى حالة تدنى العرض المالى لمشروع ما فإن هذا يهدد العروض الأخرى حتى ولو كانت أفضل من الناحية الفنية والمعمارية، وهذا هو فكر الجهات الحكومية فى التعامل مع المسابقات المعمارية والتى تهدف للوصول إلى اختيار أفضل المشاريع والتصميمات.

ومما يزيد الطين بلة أن يتم الاستعانة فى العديد من المشروعات بالمعماريين والمخططين الأجانب ليصمموا لنا مبانينا أو يخططوا لنا مدننا دون فهم لبيئتنا فيزداد المسخ والتشويه لعمارتنا ومدننا المعاصرة، ويقف المعمارى المصرى وقد أحاطت به الهموم من كل جانب ولسان حاله يقول: «لا كرامة لنبى فى وطنه».

الفصل الثانى

محنة العمارة المصرية المعاصرة

يمكن القول بأن العمارة المصرية المعاصرة بصفة خاصة، والعمارة العربية بصفة عامة، تمر بمحنة دقيقة فى تاريخ تطورها، بل يمكن القول بلا حرج أنه لا توجد عمارة مصرية أو عربية معاصرة تعبر عن الشخصية الثقافية للمجتمع المصرى أو العربى، بل هى عمارة غربية مستوردة فى داخل الأقطار العربية.

إن العديد من المفكرين يرون أن هذه المحنة بدأت تتشكل بداياتها فى مصر بصورة واضحة فى مطلع القرن التاسع عشر بدءا باقتباس «محمد على باشا» لنظام الحكم المركزى من الأنظمة الأوروبية، ومن بعده "إسماعيل باشا" وعزمه على أن يجعل مصر قطعة من أوروبا واختياره لطرز عصر النهضة فى فرنسا وإيطاليا لقصوره ومبانى الدولة لتصبح بذلك هى النموذج الواجب أن يحتذى فى المبانى، ولم ينج من هذا الاتجاه سوى الأماكن والقرى النائية والتى بعدت عن مركز السلطة مثل قرى بلاد النوبة وأعالى الصعيد فى ذلك الوقت.

وقد اكتملت هذه المحنة مع بداية سقوط العديد من الحواجز بين الدول وبعضها البعض فى بدايات القرن العشرين، وبعد أن كان لنا

طابع معماري متميز يفصح عن شخصيتنا أصبحت العمارة فى مصر تتبع طرازاً جديداً سمى "بالطراز الدولى للعمارة" أملاه المعماريون فى الغرب على المجتمع العالمى ليوحد فى طريقة التفكير المعمارى وفى أشكال المبانى دون مراعاة للجوانب البيئية والخلفيات الحضارية والثقافية لكل مجتمع.

وإذا كان التغيير والتطور من سنن الحياة مما يحتم على أى جماعة أو مجتمع أن يجهد نفسه باستمرار لمسايرة التحولات الثقافية والعلمية والتكنولوجية الحادثة باستمرار وإلا جمد فكر هذه المجتمعات، ولكن التغيير أو التطوير يستلزم وجود بعض العناصر التصميمية أو المعمارية مما تعتبر من الثوابت والتى تكون صالحة اليوم كما كانت صالحة بالأمس، وإلا أصبح هذا التغيير بلا رابط بين السابق واللاحق وتحدث فجوة فى طريق التطور المعمارى وهو ما حدث بالفعل للعمارة والمبانى المصرية المعاصرة.

المبانى المكتبية... وعقدة الخواجة

مـشـــهـد عـامل النظافـة الذى يقف لإزالة الأتربة التى تعلو الواجهات الزجاجية لمبانى المكاتب الحديثة مشهد يتكرر ونشاهده باستمرار، وهذا المشهد يعنى ببساطة أننا ما زلنا لم نفهم بعد البيئة التى نعيش فيها وأن الكثيرين من المصممين لهذه المبانى الزجاجية الواجهات ما زالوا يعانون من «عقدة الخواجة» ومن عقدة تقليد المبانى الأوروبية أو الأمريكية والتى تتلاءم مع مناخ هذه الدول، لا مع طبيعة مناخنا الحار.

فمبانى المكاتب الحديثة والتى بدأت تملأ شوارعنا، ما هى إلا أفكار وأشكال منقولة نقلاً حرفياً من الأبراج المكتبية والتى تتميز باستخدام مسطحات ضخمة من الزجاج والألومنيوم لتغليف واجهات هذه المبانى، مما يؤدى إلى دخول كميات كبيرة من أشعة الشمس والحرارة التى تجعل من المبنى فرناً شمسياً، ثم يقومون بتعويض هذه السلبية باستخدام أجهزة التكييف والتبريد، ناهيك عن الأتربة التى تعلو هذه الواجهات فتظهر بشكل يرثى له مما جعلها فى احتياج دائم للتنظيف والصيانة.

وكل هذا التقليد ناتج عن التبعية الفكرية والانبهار الأعمى بالغرب وكأن كل ما نراه فى بلادهم يصلح للنقل والتقليد بلا فهم أو وعى.

ولم نكتف بالتقليد بل وبالتجاهل أيضاً لمبانينا ذات الشخصية المتميزة والتى تعبر عن هويتنا، فعلى سبيل المثال نجد مبانى الجامعة

الأمريكية بميدان التحرير مصممة على الطراز الإسلامى، وحين تم بناء مبنى جديد لاستكمال منشآتها يتم تجاهل الطراز الإسلامى ويخرج المبنى الجديد مغلفاً بالحوائط الزجاجية فى تجاهل تام لما هو موجود أصلاً.

ويتكرر ذلك بالنسبة للمبنى الجديد «لبنك مصر» بوسط البلد، فمبنى البنك القديم أقيم على الطراز الإسلامى والذى يتمشى مع بيئتنا وشخصيتنا العربية الإسلامية، وحين يتم بناء مبنى جديد للبنك وملاصق للمبنى القديم يخرج على صورة المبانى المكتبية الأوروبية وحتى لا يعبر عن اسم البنك «مصر».

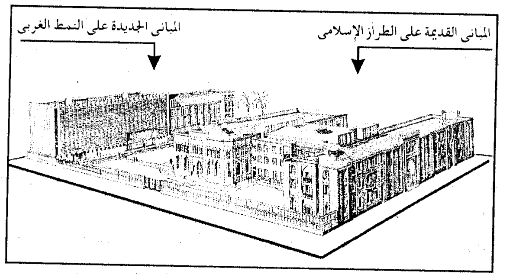
وما يحدث فى مبانى البنوك والشركات الاستثمارية الخاصة نجده - وياللعجب - يتكرر فى مبانى الدولة - سواء كانت مبانى حكومية أو وزارات، وبدلاً من أن تصبح هذه المبانى الحكومية قدوة ومثالاً يحتذى به يعبر عن الشخصية المصرية العربية تخرج هى الأخرى على أشكال المبانى الأوروبية الحديثة.

ولا شك أن هذا الاستيراد الفكرى والمتمثل فى تقليد المبانى الغربية يتبعه أيضاً استيراد خامات ومواد لتنفيذ وتشطيب هذه المبانى، فالاستيراد الفكرى يتبعه استيراد تجارى فى الوقت الذى تنادى فيه الدولة بتشجيع المنتجات الوطنية وترفع شعار «صنع فى مصر» فى كل المجالات.

إن الخطأ الذى نقع فيه دائماً أننا نتعامل مع المبانى بفكر ومفهوم ضيق وننسى أنها انعكاس لفكر وثقافة الشعوب، والدليل

على ذلك هو أننا نسارع دائما لترميم وإصلاح آثارنا المعمارية لاقتناعنا بأن هذه الآثار جزء من تاريخنا وثقافتنا وأنها تعبر عن شخصيتنا المصرية الأصيلة.

وكما ترك الآباء والأجداد هذه الآثار التى نفخر بها فإن من حق الأجيال القادمة علينا أن نترك لها أيضا من المبانى والعمائر المعبرة عن بيئتنا وشخصيتنا والتى تجعلهم يشعرون بالانتماء لأرضهم واحترام ثقافتهم وتاريخهم، وإن لم نفعل ولم نتخلص من عقدة الخواجة فإن التخلف هو مصيرنا المحتوم ويكون من حق الأجيال القادمة إن رأت مبانينا التى تركناها لهم يعلو واجهاتها الزجاجية الأتربة ألا تمتد إليها أيديهم بالتنظيف أو الإصلاح أو الترميم.



التجاهل للمبانى ذات الطابع المتميز عند البناء بجانبها.. يبدو أنها عقدة الخواجة!!
(مبانى الجامعة الأمريكية بميدان التحرير)

الأبراج السكنية مشكلة وليست حلاً لمشكلة!!

نتيجة لظاهرة التكدس السكانى فى القاهرة والمدن الكبرى، اتجه البعض إلى بناء الأبراج السكنية العالية ظناً منهم بأن هذا النظام من البناء يمكن أن يساهم فى توفير المسكن والذى أصبح من السلع النادرة فى مجتمعنا، ولكن دون دراسة حقيقية وجادة لمثل هذه الأنماط المعمارية المستوردة من الخارج، والآثار السلبية التى يمكن أن يجنيها المجتمع من وراء بناء هذه الأبراج العالية.

فالأبراج أصبحت فى الكثير من الدول الغربية من الممنوعات فى النواحى التخطيطية نظراً لما تسببه من أمراض نفسية واجتماعية.

ومن جانب آخر فإن هذه الأبراج لا يمكن أن تحقق بتصميمها وارتفاعها الشاهق الحد الأدنى من الحياة الاجتماعية لساكنيها وهو ما يتعارض مع القيم الإسلامية بل إن كل ساكن يشعر بالعزلة والانعزال عن باقى القاطنين لهذه الأبراج.

كما أن نفس المناطق التى تبنى بها هذه الأبراج تتشابه مع مناطق الإسكان المتخلفة تخطيطياً حيث تصل الكثافات السكنية بها إلى ٦٠٠ أو ٧٠٠ فرد / فدان وذلك نتيجة لارتفاعها الشاهق ووجود كثافات سكنية عالية بها مع قلة المسطح الأفقى المستخدم من الأرض، وهذا يتعارض مع أبسط مفهوم لمعنى التعمير الحقيقى وهو الامتداد الأفقى وليس الرأسى، ناهيك عن أن الخدمات التى تقدم لبعض مشاريع الأبراج العالية تكفى لإقامة مدينة سكنية صغيرة كاملة المرافق من الإسكان المتوسط.

ويجب ألا نتناسى أن هذه الأبراج العالية والتى تبنى تحت شعار حل مشكلة الإسكان لا تخرج عن كونها مشاريع استثمارية يقيمها القادرون لمزيد من الكسب ولطبقة قادرة على سداد أسعارها الخيالية وغالباً ممن لا يعانون من المشكلة.

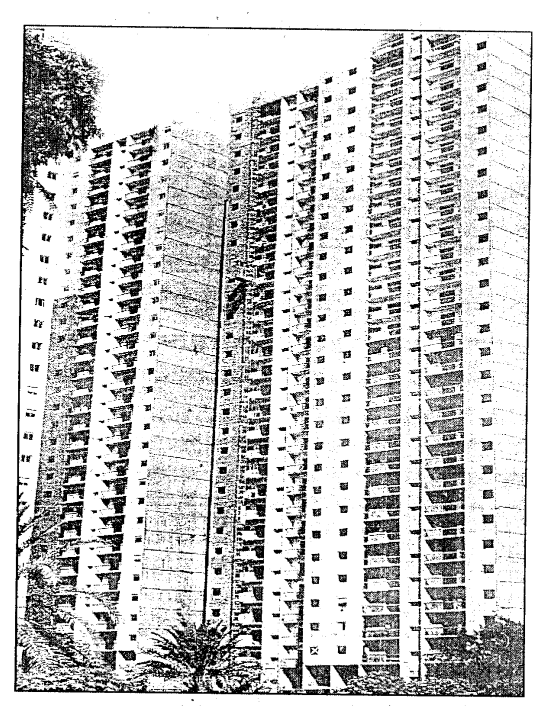
ويبقى أخيراً التشويه البصرى الذى يسببه المنظر الجامد والكئيب لمثل هذه الأبراج العالية الذى يتنافى مع أبسط القواعد الفنية والجمالية والذى يضيف إلى مدننا نوعاً جديداً من أنواع التلوث وأقصد به التلوث البصرى.

إن هذه الأبراج الخرسانية تقوم بتشويه بصرى كبير لأى منظر طبيعى جميل كنهر النيل مثلاً والذى يظهر فى بعض مناطقه وكأنه ترعة صغيرة مع الارتفاع الكبير لهذه الأبراج على جانبيه والتى تحجب منظر النيل الجميل عن المبانى من خلفها والتى تبتعد نسبياً عنه.

إننى أخشى اليوم الذى نجد فيه نهراً عظيماً مثل نهر النيل قد أصبح محاطاً من ضفتيه بسور عال وضخم من الخرسانة المسلحة تشكله واجهات هذه الأبراج العالية، وفى مثل هذا اليوم لن تجدى أية محاولات لإصلاح ما فعلناه بأيدينا من مسخ وتشويه للوجه الجميل للقاهرة أو لمدننا الكبرى.

ويبقى أن نأخذ العبرة من هذا النمط من البناء المستورد من الغرب والذى أثبت فشله أيضاً فى الكثير من مشاريع الإسكان بالدول الغربية مما جعلهم يبدأون فى الرجوع مرة أخرى إلى تخطيط الأحياء والمجتمعات السكنية ذات الارتفاعات المنخفضة مع

ترك الفراغات والمساحات الخضراء بين هذه العمارات كملاعب للأطفال وكأماكن لتعارف واجتماع أهل الحى السكنى ولا نقوم بتكرارها فى مدننا وأحيائنا الجديدة بحيث تظل مبانى هذه المدن ذات ارتفاعات منخفضة نسبياً خاصة أن الله سبحانه وتعالى قد وهبنا نعمة الأرض وهى ربما لا تكون موجودة ببعض الدول الأخرى التى تتجه إلى الارتفاع الرأسى بالمبانى بدلاً من الامتداد الأفقى والذى يتمشى مع المعنى الحقيقى لعمارة وعمران الأرض مع مراعاة أن يكون لنا طابعنا المعمارى الخاص والذى يعبر عن مجتمعنا وبيئتنا متخذين من تراثنا المعمارى الضخم النبع الذى نستمد منه أصوله مع الاستعانة بالتقنيات الحديثة التى تتوافق مع إمكانيات وظروف مجتمعنا لنحقق نهضتنا العمرانية الحديثة.



- الأبراج السكنية مشكلة.. وليست حلاً لمشكلة
يلاحظ التشابه الكبير بين واجهات هذه الأبراج وبين المساكن الشعبية

حتى لا تتكرر أخطاء تجربة الإسكان الشعبى

لا شك أنه توجد ظواهر سلبية فى تجربة الإسكان الشعبى فى مصر، ونحن كمعماريين وكمتخصصين نركز دائماً على هذه الظواهر ومنها ضيق مساحات الشقق السكنية وضيق الممرات التى تفصل بين البلوكات السكنية، إلى جانب عدم الاهتمام بالتهوية الجيدة ودخول الشمس للوحدات السكنية، مع نقص مبانى الخدمات الدينية والتجارية.

ولكننا إذا حاولنا تقويم هذه التجربة تقويماً موضوعياً لخرجنا بدرس هام مستفاد، فالتغييرات التى يقوم بها السكان فى وحداتهم السكنية سواء بتقفيل البلكونات أو نقل نافذة من مكانها إلى مكان آخر بالواجهة أو حتى بإضافة مساحات جديدة من الغرف عن طريق بنائها بالجهود الذاتية وخارجة أصلاً عن نظام البناء الرئيسى، كل هذه الدلائل وغيرها تشير إلى أن المصمم لهذه المساكن لم يكلف نفسه عناء معرفة احتياجات القاطنين لهذه المساكن، هذا إلى جانب إغفال الجانب الجمالى مما يجعل هذه المساكن تخرج على صورة كئيبة ومملة، ومما يزيد من هذا الملل التكرار المستمر لنفس شكل العمارات ووضعها فى صفوف متراصة على جوانب ممرات متوازية لا يتوافر لها الحد الأدنى من الخصوصية.

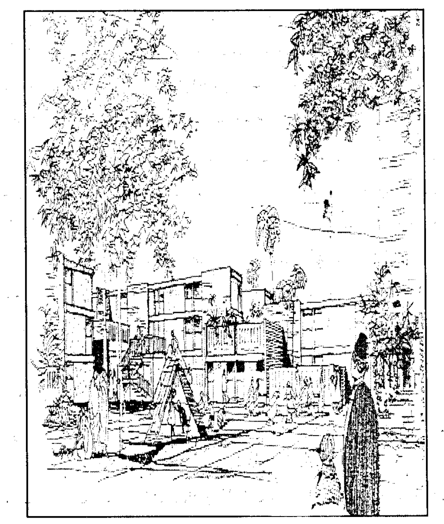
لذلك فإنه يجب علينا كمعماريين ومسئولين أن نتدارك ذلك الخطأ فى مشاريع الإسكان الجماعى والتى تبنى حالياً أو فى المستقبل بمحاولة معرفة الاحتياجات الحقيقية لقاطنى هذه المشاريع

وتوفير هذه الاحتياجات بقدر المستطاع حتى لا نرى التشوه الكبير الذى نراه فى عمارات الإسكان الشعبى نتيجة للتغييرات والإضافات التى يقوم بها سكانها لتوفير احتياجات لم تكن موجودة بالتصميم الأصلى.

لقد أصبح من اليسير معرفة احتياجات سكان مشاريع الإسكان الجماعى خاصة بعد أن أصبحت أغلب النقابات وجهات أخرى عديدة تقوم بتوفير الشقق السكنية للمشتركين والمنتمين لهذه النقابات عن طريق شراء الأراضى وبناء عمارات ومناطق سكنية لأعضائها مساهمة منها فى حل مشكلة الإسكان.

ولكن يتكرر نفس الخطأ الذى وقعنا فيه فى تجربة الإسكان الشعبى فى مصر، فالمصمم لهذه المناطق السكنية لا يهتم بمعرفة احتياجات وآمال سكان هذه المناطق بالرغم من سهولة معرفتهم وإجراء حوار مباشر معهم عن طريق نقاباتهم المهنية أو الجهة المسئولة التى ينتمون إليها أو حتى معرفة آرائهم فى مساكنهم المستقبلية عن طريق طبع أوراق توزع عليهم فيها أسئلة تساعد المصمم على تصميم وتخطيط هذه المناطق السكنية حتى تخرج إلى النور ملبية احتياجاتهم الفعلية وآمالهم الحقيقية، كل فئة حسب مستواها الثقافى والاجتماعى والمهنى، حتى يشعر السكان بالانتماء لبيئات هذه المشاريع مما يحدث نوعاً من الألفة معها فيدفع السكان للمحافظة عليها والاهتمام والارتقاء بها بدلاً من المشاركة فى تشويهها نتيجة لإيجاد احتياجات لم تكن موجودة بها أصلاً.

إن علينا أن نسأل أنفسنا سؤالاً مهماً عندما نبنى لنحل مشكلة الإسكان، هل نحن نهتم حقاً بالإنسان المصرى والذى يعتبر الركيزة الأساسية للتنمية فى بلدنا وتهمنا راحته لينتج ويبدع، أم أن كل ما يهمنا هو تكديس البشر داخل علب كئيبة نطلق عليها اسم شقق ووحدات سكنية لنقول: إننا نساهم فى حل مشكلة الإسكان!!



- العودة إلى تخطيط المجتمعات السكنية ذات الارتفاعات المنخفضة مع ترك المساحات الخضراء كملاعب للأطفال

أيها العميل العزيز ، أى الطرز المعمارية تفضل ؟ الطراز الفرنسى أم الإيطالى ، هل ترغب فى أن يكون المبنى كلاسيكى المظهر أم مودرن ؟ أما إذا كانت الطرز والأساليب السابقة لا تأتى على مزاجك الشخصى فلا تقلق فنحن مستعدون لتلبية كل طلباتك مهما كانت غريبة أو عجيبة ، فأنت الآن فى "سوبر ماركت التصميمات" ولدينا أحدث الصور والكتالوجات للمبانى والتصميمات الجاهزة أو لو شئت فقل "التصميمات المعلبة" متوفرة لدينا بأرخص الأسعار وترضى جميع الأذواق .

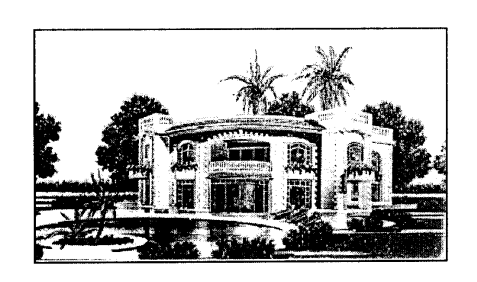
بهذا الأسلوب والمنطق السابق يتعامل بعض المهندسين والمكاتب المعمارية مع عملائها ، فالمهم هو إرضاء العميل حتى لا يهرب ، فالمسألة لا ترتبط بأى قواعد تصميمية أو معمارية متعارف عليها ، وأصبحت المبانى (أو مجازاً التصميمات) تنفذ دون احترام للبيئة والذوق المصرى والنتيجة الكرنفال المعمارى الموجود من حولنا والذى يعبر عن كل الاتجاهات العالمية المعروفة أو الغريبة .

وعلى الجانب الآخر يجد بعض المعماريين المصريين الحريصين على تقديم عمارة تحترم البيئة والذوق المصرى أنفسهم فى موقف لا يحسدون عليه ، فأصبح الواحد منهم كالترزى التقليدى والذى كسد سوقه مع رواج سوق الملابس الجاهزة والموضات المتنوعة ، وأصبح هذا المعمارى الجاد ضحية للعديد من زملاء المهنة والذين

لا هم لهم إلا إرضاء ذوق العميل والذى غالباً ما يتعارض مع أبسط الأصول الهندسية ودون أدنى محاولة منهم لتصحيح المفاهيم المغلوطة عند ذلك العميل.

وإذا كان دور المعمارى يحتم عليه أن يقوم بتلبية وتحقيق رغبات العميل فإن ذلك يكون فى إطار لا يجب أن يتعارض مع دوره الأصيل كمبدع وكمصلح بيئى واجتماعى، فواجبه أن يهيئ بيئة المبنى لتحقق الراحة لمستعمليه مع احترام التقاليد الاجتماعية والثقافية للمجتمع، وكل هذا من خلال قالب فنى راقى المظهر، أما وأن تنحصر العملية التصميمية فى نقل حلول أو استنساخ أفكار من الغرب أو الشرق لا تناسب البيئة والواقع المصرى فهذا يتنافى مع أبسط قواعد وأخلاقيات مهنة العمارة، كما يتعارض مع وظيفتها السامية ومكانتها الرائدة بين الفنون الأخرى.

من هنا يظهر أهمية الدور الذى يجب أن تقوم به المؤسسات الثقافية والمعمارية فى عرض الأفكار والمشاريع المعمارية الجيدة والتى تحترم البيئة والتقاليد المحلية فى إطار استخدام تقنيات العصر والتى تتوافق مع اقتصاديات المجتمع المصرى، وذلك من خلال المطبوعات والكتب المنشورة أو من خلال إقامة المعارض المعمارية والتى يدعى إليها المثقفون ورجال الصحافة والإعلام لمشاهدة هذه الأعمال مع إجراء حلقات الحوار والنقاش لعرض ومناقشة ما تحتويه من فكر وفن ودراسة.





الطراز الكلاسيكية الغربية تغزو سوق البناء المصرى
فى محاولة لإرضاء شريحة معينة من العملاء والملاك

وهنا يظهر أيضاً أهمية تواجد نقاد متخصصين فى النقد المعمارى أسوة بما هو متعارف عليه فى باقى فروع الفنون الأخرى، وتكون مهمتهم النقد العلمى السليم المبنى على الدراسة والفهم الفنى لكل من الحركة المعمارية فى مصر والعالم الخارجى مما يعمل على النهوض الفنى بمهنة العمارة وبجمهور المثقفين والمتلقين على حد سواء، كما يستتبع هذا أيضاً تخصيص الجوائز المعمارية السنوية والتى تمنح للمبدعين من المعماريين فى مجال التصميم والتأليف تشجيعاً للتميز والإبداع.

أعتقد أنه قد آن الأوان لتحريك المياه الراكدة من خلال تحرك جموع المعماريين من خلال المؤسسات التى ترعى مصالحهم حتى يأخذوا دورهم الريادى والحقيقى فى تعمير وطنهم بأسلوب يلائم البيئة والواقع المصرى المعاصر وليس بأسلوب «التصميمات المعلبة» كما أصبحنا نرى فى سوق البناء والتعمير.

الفصل الثالث

حسن فتحى
رائد العمارة المصرية فى القرن العشرين

ربما لا يعرف البعض أو لم يسمع، وخصوصاً من الأجيال الشابة، عن شيخ المعماريين المصريين "حسن فتحى" فهو وإن كان قد نال اهتماماً كبيراً من المعماريين فى الغرب فهو لم ينل مثل هذا الاهتمام من بنى عشيرته وأهله فى مصر أو فى العالم العربى إلا فى آخر حياته وعلى نطاق ضيق ومحدود جداً.

يقول الدكتور إسماعيل سراج الدين عن حسن فتحى: "إن حسن فتحى يعتبر الشخصية البارزة فى العمارة المصرية فى القرن العشرين، كما أنه شخصية متعارضة، فبينما تأثيره واسع التقدير لكنه غير مفهوم بالرغم من طول مدة تواجده فى الصورة لمدة ستين عاماً، فقد كان طوال هذه المدة على هامش النشاط المعمارى والتعليمى فى مصر، كذلك عند اتخاذ القرار فيما يتعلق بالشئون الحضرية، ولكن بإصراره كان يتحدى معظم المسئولين عن نشاط التعمير فقد كانت قوته فى مبادئه أكثر مما هى فى مبانيه، فباستثناء "القرنة" (يقصد قرية القرنة بالأقصر) التى تعتبر من أهم أعماله فإن قليلاً جداً من أعماله معروفة للعامة ومع ذلك فاسمه ومبادئه واسعة الانتشار.

ولعل أهم رسالة لحسن فتحي هي الجوانب الإنسانية التي تفوق بها على غيره وما صاحب ذلك من فكر واضح مع شجاعة في التعبير وإصرار على المبدأ فكان يرفض كل عمارة لا ترتبط بالموقع أو بثقافة المنطقة، وهو ما يظهر في العمارة التقليدية بجانب الاحتياجات البيئية، وهو بذلك يرفض العالمية المستمدة من تكنولوجيا واحدة كما يرفض تغريب التراث الحضاري الذي يعتبره جزءاً من ذاتيته، فالعناصر الغريبة في بناء البيئة المتجانسة يمكن أن تولد تناقضات تعمل مع الوقت على اضمحلال التراث الثقافي، وهو لا يرفض ما يناسبه من الغرب كالأساليب العلمية لقياس الكفاءة الاستيطانية أو التكاليف أو الطاقة أو خصائص المواد أو العلاقات المناسبة بين الفراغات والحجوم....".

إن الكلمات السابقة لخصت في إيجاز بعضاً من الخطوط العريضة لفكر ومبادىء حسن فتحي المعمارية والتي اختلف معه فيها بعض المعماريين المصريين، وبالرغم من ذلك فلا يستطيع أحد أن ينكر أن حسن فتحي يعتبر أول من نبه ونادى بخصوصية العمارة العربية والمحلية في الأربعينات من القرن العشرين وتحمس لمبادئه ودافع بصدق عنها حتى آخر لحظة في حياته.

المعماري الأستاذ حسن فتحي، رائد البناء بالطين، رجل له فكرته الصادقة ورؤيته المتميزة للبناء والتعمير والذى يرتبط باستعمال المواد المحلية كالطين والحجر، واستعمال الأساليب الإنشائية المتوارثة عبر الأجيال باستخدام الأسقف على شكل القباب والقبوات، نادى بهذا الفكر فى فترة كان يغلب فيها الفكر المعماري الغربي والذى تأثر به الكثيرون من المعماريين من جيل حسن فتحي.

وبالرغم من ذلك فقد بهر هذا الرجل العالم ببساطة فكره المعماري وقوة منطقه فأصبح له تلاميذ ومريدون من شباب المعماريين، ومنهم من تأثر به وسار على نهجه وأسلوبه فى التعمير والبناء، والبعض منهم حاول على قدر استطاعته أن يتطور بفكره المعماري الذى أخذه عن حسن فتحي، ولكن فى الحقيقة أن الغالبية منهم قد حصروا أنفسهم فى تقليد فكر وأعمال حسن فتحي تقليداً حرفياً اقتناعاً منهم بهذا الفكر وفى نفس الوقت تقصيراً فى تطويره.

وعلى الرغم من ذلك فإن تلاميذ حسن فتحي اختاروا لأنفسهم فكراً وأسلوباً للبناء يمكن أن يتمشى مع أسلوب البناء فى الريف المصري أو العمارة خارج المدن فى الصحراء وما يشابهها من بيئات.

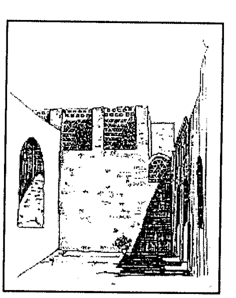
وهذا لا يقلل من قيمة هذا الفكر . . بل اقتنعوا به وساروا عليه واتخذوا منه منهجاً لا يحيدون عنه .

وهنا يظهر تساؤل . . ماذا ينتظر باقى المعماريين المصريين ؟ !

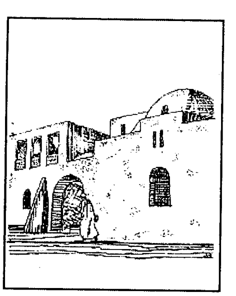
أينتظرون حسن فتحى آخر يبنى بالخرسانة وبمواد البناء الحديثة ليريهم كيف يطوع هذه المواد لتتمشى مع طابعنا المحلى ليقلدوه هم أيضاً تقليداً أعمى ؟ !

حقاً إنه توجد قلة من المعماريين يلتزمون بفكر معمارى واضح تتضح فى أعمالهم المعمارية ، ولكن هؤلاء المعماريين ما زالوا قلة قليلة لا يمكنهم أن يواجهوا بأعمالهم القليلة الجادة السيل الجارف من أعمال الغالبية من زملائهم فى مهنة العمارة والذى يمكن أن نقسمهم من حيث فكرهم المعمارى إلى مقلد لعمارة الغرب متأثراً بها ، أو غير مقتنع بجدوى عمارته التراثية ، أو الذى له رؤية ومفهوم خاطئ عن التراث ، أو صنف آخر لا يعبأ أصلاً بأن يكون لنا عمارة معبرة عنا بل كل همه العمل فقط من أجل الكسب والحصول على لقمة العيش !

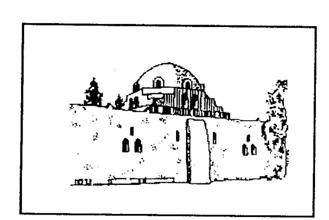
كل هذه الاتجاهات السائدة بين معماريى اليوم لن تسمح بأن يكون لنا عمارة مصرية عربية تعبر عن بيئتنا وتراثنا ، لذلك فقد حان الوقت لأن يفيق الكثير من المعماريين من سباتهم الفكرى ومن تبعيتهم للفكر الغربى ، وأن يثقوا فى تراثهم وحضارتهم وأن يحاولوا أن ينهلوا من هذا التراث المعمارى الضخم وأن يطوروه ويفرزوه على شكل عمارة معاصرة وحديثة بدلاً من السلبية واللامبالاة وانتظار حسن فتحى آخر يبنى بالخرسانة بدلاً من الطين .



استخدام مواد بناء من البيئة وأساليب بناء
محلية- القرنة الجديدة



مساكن القرنة الجديدة - مبنية
من الطوب النيىء



المسجد أحد المبانى التى يمكن أن يطبق فيه منهج
البناء التعاونى - القرنة الجديدة

(نماذج من أعمال حسن فتحى بقرية «القرنة» بالأقصر)

مقلدون: نعم
معماريون: لا

لن نمل الحديث عن ضرورة إيجاد طابع معمارى متميز لعمارتنا المصرية والعربية المعاصرة، وذلك إيماناً منا وثقة فى أنفسنا بأننا قادرون على أن نشارك فى صنع الحضارة المعاصرة، بكل ما فى هذه الكلمة من معنى، ولا شك أن للعمارة دوراً وجانباً كبيراً فى بناء وصنع أى حضارة على مر التاريخ.

وللأسف الشديد فإننى أُحمِّل المعماريين المصريين خاصة من أتاحت لهم الظروف بحكم خبرتهم أن يشاركوا فى تصميم المشاريع الكبيرة، أحمل هؤلاء المعماريين مسئولية المحنة التى تعيشها عمارتنا المصرية المعاصرة، وأقصد بهذه المحنة تقليد كل ما يأتى من الغرب دون فهم أو وعى، ونحن فى ذلك لسنا ضد التطور أوالتكنولوجيا الحديثة، ولكننا ضد التقليد الأعمى والاستسلام وعدم الثقة بالنفس، بل إننا نشجع التكنولوجيا المتوافقة أى التى تتوافق مع ظروفنا الاجتماعية والاقتصادية والبيئية.

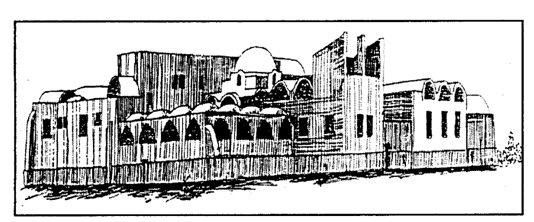
لذلك فلقد آن الأوان لأن نقولها بصراحة للذين شوهوا وجه مدننا المصرية بنقلهم المبانى الغربية إليها سواء كانت ناطحات سحاب أو المبانى المكتبية ذات الواجهات الزجاجية..

نقول لهم: «أنتم مقلدون ولستم بمعماريين» فالمعمارى الحق يعتبر مصلحاً بيئياً واجتماعياً، يحاول أن يفهم بيئته فيصمم المبانى التى تتلاءم معها، كما يحاول أن يأخذ فى اعتباره القيم الاجتماعية والاقتصادية لمجتمعه.

هذا هو المعمارى الحقيقى الذى تتميز أعماله بالإبداع والعطاء وبالانتماء لمجتمعه، أما الاستسلام والانبهار والانهزامية فهى من طباع المقلدين الذين فقدوا الثقة فى أنفسهم وفى تاريخهم وتراثهم.

ولكن هؤلاء لم يعتبروا ولم يفهموا الدرس الذى أعطاه لهم الغرب والذى طالما انبهروا به دون وعى، فالغرب عندما أراد أن يكرم المعمارى المصرى والعربى اختار «حسن فتحى» الذى كان يدعو لأن تتوافق العمارة مع البيئة، ولم يكرم هؤلاء الذين قلدوه وبذلك فقدوا الاحترام فى داخل بلادهم وكذلك فى خارجها.

فهل آن الأوان لهؤلاء المقلدين أن يفيقوا من غفلتهم ويفهموا الدرس الذى أعطاه لهم الغرب ؟!



استراحة جرف حسين - النوبة (١٩٨١م)
(نموذج من أعمال حسن فتحى)

بعد رحيل حسن فتحى: كيف نستفيد من تجربته؟

رحل عن دنيانا شيخ المعماريين المصريين الأستاذ حسن فتحى، وهذه هى سنة الله فى الأرض.

وإذا كان الأستاذ حسن فتحى قد اشتهر بين معماريى العالم بأنه نصير الفقراء فى العمارة، وبأنه كان يستخدم المواد المحلية المتوافرة فى البيئة مثل الطين أو الحجر، فقد كانت له جوانب إنسانية أخرى ربما لا يعرفها عنه إلا المقربون وخاصة من مريديه وتلاميذه.

وقد لمست بعض هذه الجوانب الإنسانية من خلال اللقاءين الشخصيين اللذين تقابلت فيهما معه.

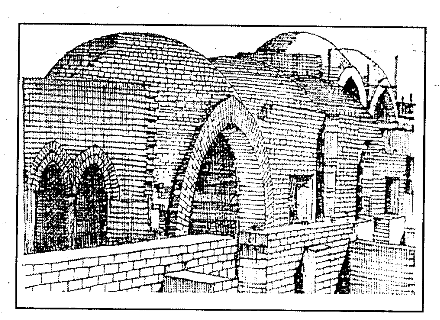
وكان اللقاء الأول فى شهر أكتوبر عام ١٩٨٠ وكنت حينئذ طالباً بقسم العمارة بجامعة القاهرة وأردت أن ألتقى مع المعمارى الذى ملأت قصة كفاحه أسماع الغرب ولم يلق الاهتمام الواجب من أبناء وطنه وعشيرته، وفي هذا اللقاء وجدته متواضعاً يرحب بكل من يدق عليه بابه سواء كان يعرفه ،أو لا يعرفه وجدته ثابتاً على مبادئه التى آمن بها وطبَّقها طول حياته، وجدته صابراً على هجوم الكثيرين من زملاء المهنة، كل هذا لمسته واضحاً من خلال حديثى معه.

وأخيراً وجدته أستاذاً مفكراً وأباً حنوناً يعرف كيف يتحاور مع الشباب ويوجههم الاتجاه الصحيح دون قسر أو إجبار وذلك حين ناقشنى فى رأيى حول العمارة الإسلامية وحين ذلك طمأننى وقال

لى إن فكرك صحيح وسليم ويجب أن تحافظ على ذلك، ثم كتب لى كلمة بخط يده قال فيها: -« إلى ابنى يحيى حسن وزيرى.. مع تمنياتى بأن يصبح معمارى أجمل» واعتبرت هذه الكلمة هى أول تكريم لى فى حياتى المعمارية والتى لم تكن قد بدأت حينئذ.

إن على الشباب أن يستفيدوا من تجربة الأستاذ حسن فتحى فى ثباته على مبادئه طوال ما يقرب من تسعين عاماً حيث لم يتعجل الشهرة أو النجاح أو الكسب المادى، أما الأساتذة فعليهم أن يستفيدوا هم أيضاً من هذه التجربة بأن لا يبخلوا على الشباب بعصارة خبرتهم وفكرهم، وليتذكر الشباب والأساتذة معاً آخر كلمات حسن فتحى:

« لن نكون غرباء فى بلادنا.. والعمارة الإسلامية هى الحل»..



قصر الشيخ ناصر بالكويت.. يعكس النمط المعمارى الذى اتبعه حسن فتحى، وظهر فى أغلب تصميماته من جنوب الصعيد وحتى «أبيكيو» فى أمريكا

الفصل الرابع

قيم روحية في عمارة المجتمع

شاءت حكمة الله سبحانه وتعالى أن تكون الأرض هي دار الاختبار والابتلاء للإنسان، وأن تكون هذه الأرض أيضاً مستقراً وموطناً للبشر إلى حين، حيث أخبرنا الله بذلك في سورة البقرة ﴿ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾. [البقرة: ٣٦].

وقد جعل الله سبحانه وتعالى الإنسان خليفته في هذه الأرض يأتمر بأوامره وينتهي بنواهيه، فالأرض ملك لله فهذه حقيقة بديهية فهو خالقها من العدم، وقد قرر سبحانه ذلك في آياته حيث يقول ﴿ أَلا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾. [يونس: ٥٥].

وبالرغم من ملكية الأرض لله فإنه عندما خلقها لم يخلقها عبثاً بل خلقها لتكون مستقراً للناس كما أوضحنا، وقد يسر سبحانه وتعالى الانتفاع بما في هذه الأرض من ثروات ونعم وكنوز ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الأَنْهَارَ (٣٢) وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ (٣٣) وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا (٣٤) ﴾. [إبراهيم٣٢:٣٤].

فالأرض بذلك من الله للناس، ويؤكد ذلك قول الرسول ﷺ «عادى الأرض لله ورسوله.. ثم هي لكم».

والأرض العادية هي القديمة التي لا عمارة بها سواء كانت بها عمارة وخربت أو لم يسبق تعميرها، والمراد بالحديث واضح فلا ملكية أصلاً للأرض إلا لله ثم هي منه للناس، وبما أن الله قد سخر هذه الأرض للناس فإن ذلك لرسالة وغاية عظمى ألا وهي اختبار البشر ومعرفة المحسن من المسيء ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ [الملك: ٢].

وقد كلف الله الإنسان بعمارة هذه الأرض عمارة واسعة لتستمر الحياة عليها حتى تتحقق الغاية من خلق البشر، فالله بذلك قد ألقى على الإنسان عبء عمارة الأرض وجعل هذه العمارة جزءاً من رسالته السامية وزوده بالنعم التي تجعله مؤهلاً لهذه المهمة، ثم يأتي القرآن مؤكداً على هذه الحقيقة حيث يقول سبحانه وتعالى ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [هود: ٦١].

قال القرطبي في تفسيره: قال بعض الشافعية: الاستعمار طلب العمارة والطلب المطلق من الله تعالى على الوجوب.

وقال الجصاص: «وفيها .. للدلالة على وجوب عمارة الأرض للزراعة والغراس والأبنية».

وعلى ذلك فإن على الإنسان أن يقوم بتنفيذ مشيئة الله سبحانه وتعالى في تعمير هذه الأرض وخاصة أن الله قد مكن الإنسان فيها حيث يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ﴾. [الأعراف: ١٠].

وقد تحدثت الآيات القرآنية عن العلاقة بين الإسلام والتعمير،

ولو تأملنا سور القرآن لوجدنا أن الله سبحانه وتعالى قد اختار أسماء بعضها مما له ارتباط بالعمارة: «كالبلد» و«الحجرات» و«الكهف» كما جاء ذكر العمارة بلفظها واشتقاقها في سور عديدة منها «الطور» و«هود» و«الرعد» و«التوبة» و«الروم» كما ذكر القرآن أسماء لبعض المدن مثل «بكة» و«المدينة» بالجزيرة العربية و«سبأ» باليمن و«مدين» بفلسطين و«إرم» بالعراق و«مصر».

كما أوضح لنا القرآن أن أول بيت وضع للناس للعبادة للذى ببكة مباركاً وهدى للعالمين وهو بيت الله الحرام، كما يوضح لنا القرآن أيضاً أن أول مستوطنة عرفها الإنسان على الماء كانت سفينة نوح ﴿ وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ ﴾. [القمر:١٣]. والمقصود هنا سفينة نوح.

وقد أقسم الله «بالبيت المعمور والسقف المرفوع» كما امتدح الذين يعمرون المساجد بإقام الصلاة فيها أو ببنائها وصيانتها حيث يقول سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ ﴾. [التوبة:١٨].

ثم يوضح لنا الله جلت قدرته أنه خير المبدعين لعمارة الكون حيث يقول سبحانه وتعالى: ﴿ أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا ﴾. [النازعات:٢٧].. وأيضاً يقول: ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً ﴾. [البقرة:٢٢].

ولا نحسب أن بعد هذا تكريماً وإعلاء للتعمير والعمران والبنائيين ومخططى القرى والأمصار.

المأوى.. أنواع!!

الإنسان فى حياته الدنيا يحتاج للمأوى ليزاول فيه ومن خلاله جميع أوجه نشاطاته اليومية ويتنوع شكل المأوى فى الحياة تنوعاً كبيراً حسب ظروف البيئة التى يقام فيها وحسب الإمكانيات المادية المتاحة فيمكن أن يأوى الإنسان إلى الأشكال الطبيعية التى خلقها الله سبحانه وتعالى مثل صخرة مثلاً : ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ﴾ [الكهف:٦٣]. أو أن يأوى إلى جبل : ﴿قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ﴾ [هود:٤٣]. وكما قال : ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا﴾. [النحل:٨١]. والكن هو ما يستكن فيه كالغار أو يتخذ من الكهوف مأوى ﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ﴾ [سورة الكهف:١٠].

أو يبدأ الإنسان فى التعامل مع هذه الأشكال الطبيعية ويبدأ فى تهيئتها ونحتها متخذاً منها بيوتاً ﴿وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ﴾ [الحجر:٨٢] مثل قوم ثمود، أو يتخذ من جلود الأنعام مساكن وبيوتاً كالخيام والقباب وذلك لمن يشتغلون بالرعى ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّن بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ﴾[سورة النحل:٨٠] أو يبدأ فى بناء أبنية تتميز بالثبات وطول العمر كالحجرات وهى جمع حجرة وهى ما يحجر عليه الإنسان من الأرض بحائط ونحوه ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [سورة الحجرات:٤].

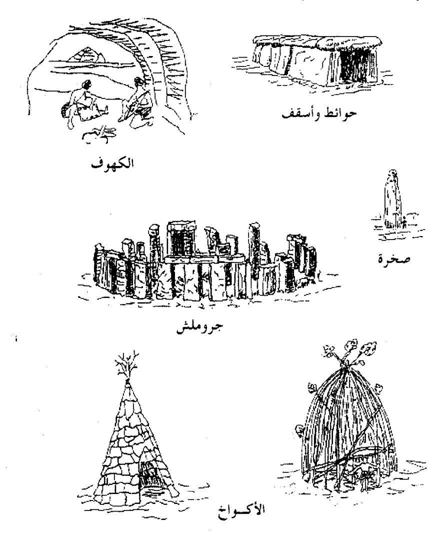
ومع رقى العمران يتخذ البشر القصور والبيوت الفخمة

﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا﴾ [سورة الأعراف: ٧٤] وعندما يزداد رقى العمران فإننا نجد المبانى العالية والمرتفعة كما فى حضارة سيدنا سليمان ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ﴾ [سورة سبأ: ١٣] والمحاريب هى الأبنية المرتفعة التى يصعد إليها بدرج أو كما طلب فرعون من هامان أن يبنى له بناء عالياً لعله يطلع إلى إله موسى ﴿فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّي صَرْحًا لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [سورة القصص: ٣٨].

كما تتنوع أشكال المبانى وأشكال المأوى كذلك فإن لها فوائد عديدة على البشر بل وعلى كل مخلوقات الله جميعاً فهى تقيهم شر تقلبات الجو وشر أى أخطار قد تحيق بهم فأضعف الحشرات كالنمل مثلاً لها مساكن تحتمى بها حيث يقول سبحانه وتعالى ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [سورة النمل: ١٨]. وهذه أول نعمة وفائدة من فوائد المأوى.

والمأوى أو البيت ليس مكاناً للراحة فقط بل وأيضاً مكان لادخار ما يعين الإنسان على حياته وعلى المعيشة فيها سواء كان ذلك طعاماً أو أى شىء آخر ﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾ [سورة آل عمران: ٤٩] ومن فوائده أيضاً أنه يمكن أن تؤدى فيه العبادات كالصلاة مثلاً ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا

لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة يونس: ٨٧] أى: واجعلوا بيوتكم مصلى خوفاً من بطش فرعون بكم، هذه هى بعض الفوائد القليلة للمأوى والتى توضح أهميته للإنسان فى كل زمان ومكان ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا﴾ [سورة إبراهيم: ٣٤].



أشكال مختلفة للمأوى فى أبسط صورة

أى مكان يتخذه الإنسان ليأوى إليه يجب أن يتصف بحد أدنى من المواصفات ليمكن أن يطلق عليه لفظ «مأوى» فعلى سبيل المثال يجب أن يوفر المأوى لساكنه الحماية والأمن وهكذا يخبرنا الله سبحانه وتعالى فى سورة الأحزاب حيث يقول : ﴿ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلاَّ فِرَارًا ﴾ [سورة الأحزاب : ١٣] والبيوت العورة هى غير الحصينة وسهلة المنال والتى يخاف على ساكنيها حيث لا توفر لهم الحماية والأمن النفسى.

وقد جاء القرآن مؤكداً على ذلك حيث أوضح لنا أن أوهن البيوت هى بيت العنكبوت حيث لا يدفع عنها شراً ولا حراً ولا برداً.. ﴿ وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ ﴾ [سورة العنكبوت : ٤١].

كما نجد فى سورة الكهف قصة الفتية الذين هربوا بدينهم واتخذوا من أحد الكهوف مأوى لهم حيث يقول سبحانه وتعالى فى وصف هذا الكهف وعلاقته بحركة الشمس : ﴿ وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ ﴾ [سورة الكهف :١٧].

أى أن الشمس عند شروقها تميل جهة اليمين بالنسبة لفتحة الكهف وعند غروبها تدخل أشعتها من جهة اليسار بحيث لا تصل هذه الأشعة إلى أجساد الفتية ﴿ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ ﴾ [سورة الكهف :١٧].

أى أن فتحة الكهف ومدخله كان مواجهاً لجهة الشمال وهو الاتجاه الذى تهب منه الرياح الطيبة.

لذلك فإن اختيار فتحة الكهف جهة الشمال يعطى فرصة لدخول الشمس للكهف مرتين يوميا صباحا عند الشروق ومساء عند الغروب وهو ما لا يمكن أن يتوافر فى حالة ما إذا كانت فتحة الكهف مواجهة لأى جهة أخرى حيث تدخل أشعة الشمس الكهف مرة واحدة فقط وهذه آية من آيات الله وإشارة لنا بأهمية دخول الشمس والهواء لأى مأوى حتى يصبح صحيا.

كما أنه يلفت أنظارنا إلى أهمية دراسة الموقع الذى يقام فيه المأوى وكيفية الاستفادة من ظروف البيئة عند تصميمه، وهذا ما أوضحته لنا إحدى آيات سورة الأعراف عن قوم ثمود وكيف أنهم كانوا يسكنون السهول فى الصيف ثم ينتقلون إلى الجبال فى الشتاء مراعاة لظروف بيئتهم خلال فصول السنة المختلفة.
﴿ وَبَوَّأَكُمْ فِي الأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا ﴾ [الأعراف آية ٧٤].

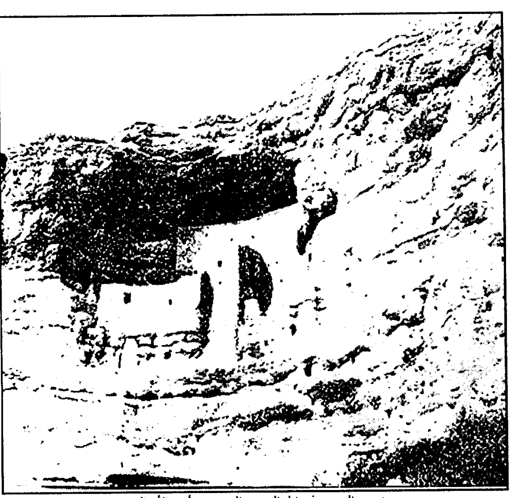
كما أن اتخاذ المأوى له علاقة وثيقة بالعمل والإنتاج، فالمأوى المناسب يساعد ساكنه على الاستقرار النفسى مما يحفزه على الإبداع والإنتاج، وهذا ما تقرره بعض آيات سورة النحل، حيث يقول سبحانه وتعالى: ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [سورة النحل: ٦٨، ٦٩].

فيتضح لنا من الآيات السابقة أن الله قد أوحى للنحل اتخاذ المأوى المناسب لطبيعتها وطبيعة عملها سواء كان بالجبال أو الأشجار أو مما يبنيه الناس للنحل من أماكن.

أى أن الله أمر النحل باتخاذ المأوى والبيت أولاً ثم بعد ذلك

أمرها بأن تسلك سبل ربها للعمل وجمع رحيق الأزهار والذى منه عسل النحل الذى فيه شفاء للناس.

وفى ذلك لمحة قرآنية جميلة توضح لنا علاقة المأوى المناسب بالعمل والإنتاج فلا يعقل أن نطلب من الإنسان غير المستقر نفسيا نتيجة سكنه فى مأوى غير مناسب الإبداع وزيادة الإنتاج، وكما قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [سورة النحل :١٢] صدق الله العظيم.



نحت البيوت فى الجبال.. مثال يوضح أحد الأساليب التى استخدمها الإنسان قديماً لتوفير المأوى والسكن

قمة الجمال المعمارى كأروع ما يكون!

تكلمنا عن المأوى وأشكاله وفوائده ومواصفاته وقد كان تركيزنا على المأوى كسكن للإنسان ولكن توجد أنواع أخرى منه يستعملها الإنسان فى حياته اليومية ذكرها القرآن الكريم فى معرض آياته، فمنها على سبيل المثال أماكن العبادة كالصوامع والبيع والصلوات والمساجد ﴿وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا﴾ [الحج: ٤٠].

ومن أنواع المأوى الأخرى التى جاء ذكرها فى القرآن المبانى الدفاعية ﴿لا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلاَّ فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ﴾ [الحشر: ١٤].

وكذلك ذكر القرآن نوعاً من المأوى يمكن أن نطلق عليه مأوى مؤقت تحت ظروف معينة للاختباء مثلاً أو للحماية من الأخطار كالملاجئ والحصون والمغارات ﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلاً لَّوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾ [التوبة: ٥٧]. أو كما قال: ﴿إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ﴾ [سورة التوبة: ٤٠]. أو الأنفاق ﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُم بِآيَةٍ﴾ [الأنعام: ٣٥]. كما جاء ذكر النوادى وأماكن اللقاء والمتحدثات ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنكَرَ﴾ [سورة العنكبوت: ٢٩].

وكذلك جاء ذكر ما يمكن تسميته بمحطات الاستراحة للقوافل التجارية حيث جعل الله بين مدينة «سبأ» باليمن وبين قرى الشام والتى كانوا يسيرون إليها للتجارة قرى أخرى تعتبر كمحطات للقوافل للاستراحة والتزود بالماء والطعام ﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ ﴾ [سورة سبأ : ١٨] .

ومن أنواع المأوى التى جاء ذكرها فى القرآن السجون وهى مأوى الظالمين والمعتدين على حقوق الآخرين ﴿ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ﴾ [يوسف :٣٣] . وربما كمعتقلات للخصوم ﴿ قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴾ [الشعراء : ٢٩] .

كما ذكر القرآن أنواعاً من المأوى تبدو وكأنها خيالية لا يمكن أن يراها إلا النائم فى منامه حيث حدثنا القرآن عن الأبنية العجيبة والرائعة التى كانت فى حضارة سيدنا سليمان وكان الجن والشياطين بناتها ﴿ وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ ﴾ [ص : ٣٧] . ﴿ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ ﴾ [سبأ :١٢] .

بل وأعطانا القرآن وصفاً لواحد من هذه المبانى والقصور هو قصر سيدنا سليمان، وذلك فى سورة النمل حيث يقول سبحانه وتعالى : ﴿ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ﴾ [سورة النمل : ٤٤] . وهو أحد الأمثلة التى تكشف لنا عن قمة وجمال العمارة بهذه المبانى كأروع ما تكون .

السقف المرفوع

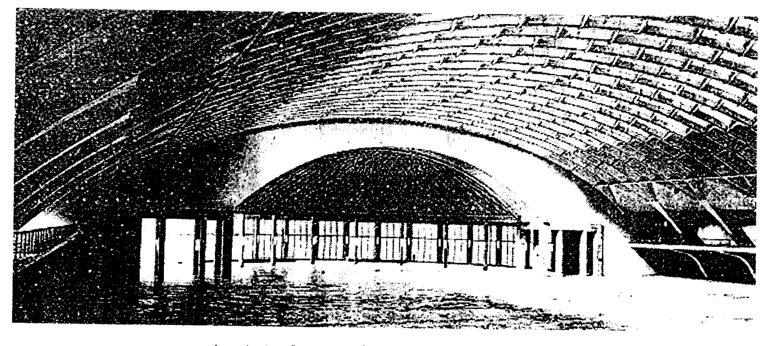
كلما تأملت الآيات القرآنية التى جاء فيها ذكر السماء وجدت أن أغلبها يأتى فيه ذكر البناء متلازماً للسماء، فعلى سبيل المثال يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿والسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [سورة الذاريات: ٤٧]. ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا﴾[سورة ق: ٦]. ﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا﴾ [سورة الشمس: ٥].

ثم يأتى ذكر السماء صراحة على أنها السقف بالنسبة للأرض فى سورة الطور حيث يقسم الله بذلك ﴿وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ﴾. [الطور: ٥]

وكأن الله سبحانه وتعالى أراد أن يلفت انتباهنا إلى أن البناء الحقيقى يكون فى السقف وأن السقف من أهم عناصر البناء والمبنى لا يكون مبنى إلا بوجود سقف له، فالحوائط فى أى مبنى بالرغم من حملها للسقف وأهميتها من الناحية الإنشائية والتطبيقية فى تحديد الفراغ المعمارى فإن هذا الفراغ المعمارى لا يمكن اكتمال الإحساس به دون وجود السقف كما أن طابع أى مبنى يتحدد بنوع وشكل سقفه فالمبنى الذى سقفه على شكل قبة يختلف طابعه عن المبنى ذى السقف المائل أو ذى السقف المسطح، كما أنه لا يخفى علينا أن المبانى ذات الأفنية الداخلية يأتى جمال أفنيتها من أن سقفها هو السماء التى خلقها وأبدعها الله سبحانه وتعالى، كما أن تكاليف أى مبنى تزداد بازدياد تكاليف سقفه وتقل تكاليفه كلما قلت تكاليف السقف.

ثم تأتى آيات القرآن موضحة لإعجاز آخر فى أسلوب بناء السماء ألا وهى رفعها بغير عمد يراها الإنسان ﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ﴾ [الرعد : ٢] . فلا شك أن هذا إعجاز عظيم حيث إن أى سقف يبنيه الإنسان يحتاج إلى أعمدة أو حوائط لحمل هذا السقف وأن الإنسان عبر تاريخه الطويل يجد أن التحدى الذى يقف أمامه هو فى كيفية عمل الأسقف ذات البحور الكبيرة أى الأسقف التى تتباعد تحتها المسافات بين الأعمدة أو العناصر الإنشائية الحاملة لها .

وكل يوم مع تطور العلوم وتطور المواد الإنشائية تزداد بحور هذه الأسقف ولكن مهما تقدمت العلوم وتطور الفكر المعمارى والإنشائى فإن السماء بعظمتها وإبداعها ستظل إحدى الآيات العظيمة الدالة على قدرة الله وإبداعه وتظل منفردة حقاً بالتسمية التى أطلقها الله سبحانه وتعالى عليها بأنها السقف المرفوع والذى أقسم بها فى قرآنه الكريم وصدق الله العظيم حيث يقول : ﴿ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ ﴾ [الأنبياء : ٣٢] .



المحاولات الدائمة لعمل الأسقف ذات البحور الكبيرة – حلم تحقق فى القرن العشرين
(الصالة الرئيسية لمعرض تورينو بإيطاليا عام ١٩٤٨ – للمهندس بيير نيرفى)

يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ اللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا ﴾ [سورة النحل : ٨٠] أى : أن أهم وظيفة للبيت هى السكن والاستراحة بعد عناء العمل والسعى وراء الرزق كل يوم خارج البيت ، ولكى يشعر الإنسان بالراحة والطمأنينة فى بيته فإن ذلك لا يتحقق إلا بخصوصية هذا البيت ، وتنقسم خصوصية البيت إلى قسمين كما أوضحهما القرآن فى آياته .

وأولها الخصوصية التى يوفرها البيت لساكنيه من عيون الجيران أو الغرباء أو المتطفلين أى خصوصية يجب أن تتوفر له عن طريق منافذه الخارجية سواء كانت نوافذ أو مداخل أى خصوصية البيت من الخارج .

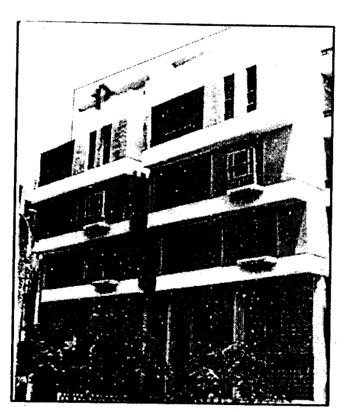
وتوضح لنا بعض آيات القرآن ذلك حيث يقول سبحانه وتعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ ﴾ [النور : ٢٧ ، ٢٨] .

ويقول أيضاً : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلاَّ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ ﴾ [الأحزاب : ٥٣] .

وهى آيات جليلة تؤكد على أنه يجب أن تحترم خصوصية البيوت والاستئذان قبل دخولها حتى لا نفاجىء أهلها ونكشف سترهم مما يؤذيهم .



استخدام الشرفات بارتفاع دورين لتوفير الخصوصية مع السماح
بدخول الشمس والهواء- مثال حديث من الجزائر



استخدام المشربيات بأسلوب عصرى مبسط لتوفير عامل الخصوصية
مثال معاصر من مصر

وثانى أنواع الخصوصية التى يجب أن تتوافر فى البيت هى خصوصية فى تقسيمه من الداخل، بمعنى أن يحتوى على جناحين أساسيين أحدهما للزوار والغرباء ، والآخر للنوم وأهل البيت .

وقد أكد سبحانه وتعالى على خصوصية البيت من الداخل حيث يخبرنا بذلك في سورة النور : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلاثَ مَرَّاتٍ مِّن قَبْلِ صَلاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلاةِ الْعِشَاءِ﴾ [النور : ٥٨].

مما سبق يتضح لنا أهمية خصوصية بيت المسلم ، حيث إن هذا هو مطلب وتوجيه القرآن يجب أن نحرص عليه عند تصميم وبناء مساكننا فى مجتمعاتنا الإسلامية ، وأنه على المصممين والمعماريين مراعاة هذه الخصوصية على مستويين:

أولهما على مستوى الواجهات الخارجية للمبنى السكنى بحيث تتوافر لنوافذه وبلكوناته الخصوصية ، وعدم كشف ما بداخل المسكن.

وكذلك خصوصيته الداخلية بحيث ينقسم المسكن إلى جناحين أحدهما للزوار وهو جناح الضيوف وجناح آخر للنوم وأهل البيت، ويمكن أن يكون لكل جناح المدخل الخاص به إن أمكن ذلك أو أن يفصل بين الجناحين بباب مثلاً حتى نضمن خصوصية جناح النوم ، فالأبواب من العناصر التى توفر هذه الخصوصية الداخلية.

إن خصوصية بيت المسلم مطلب وظيفى وتوجيه قرآنى لا يجب أن نتهاون فى تحقيقه فى بيوتنا ومساكننا حتى نتمتع فيها بالراحة والطمأنينة .

العمارة الإسلامية .. توفر حقوق الخصوصية والتمتع[1]

لم يترك الإسلام صغيرة ولا كبيرة فى حياة المسلم إلا ووضع لها الإطار النموذجي الواجب الاتباع .. ومن هذا المنطلق لم يهمل الإسلام تحديد نظام معيشة وسكن المسلم .. فقد جاءت آيات الله البينات وأحاديث رسوله عليه السلام موضحة ومؤكدة على الصلة بين الإسلام والعمران ، هذا من جانب ومن جانب آخر أعطت المضامين والمعايير التى تشكل الجانب التطبيقى فى عمران وعمارة الأرض .

ولو أخذنا بهذه المضامين واتبعنا هذه المعايير ، لما تعالت شكوانا مع تعالى ناطحات السحاب التى تسبب مشكلات لا حصر لها في المرافق من صرف ومياه وكهرباء وتحجب عنا رؤية أجمل ما تتمتع به طبيعتنا من نيل وحدائق وأشجار .. وتكشف ستر ما يحيطها من عمارات تسبب لسكانها الحرج وتحرمهم التمتع بحقهم فى الخصوصية حتى فى بيوتهم .

هذه الحقائق وغيرها يؤكدها المهندس المعمارى يحيى وزيرى بعد أن قطع شوطاً في هذا المضمار جعل محافظة القاهرة ترشحه للحصول على جائزة منظمة المدن العربية عن تصميمه مسجد كلية الطب البيطرى وترشحه مرة ثانية لجائزة منظمة العواصم والمدن الإسلامية عن فيلم تسجيلى قام بإعداده عن «كرنفال

(١) حوار أجرته الأستاذة / ألفت الخشاب مع المؤلف بجريدة الأخبار.

العمارة المصرية» واختارته منظمة المدن العربية عضواً في لجنة الترشيح لجوائزها .

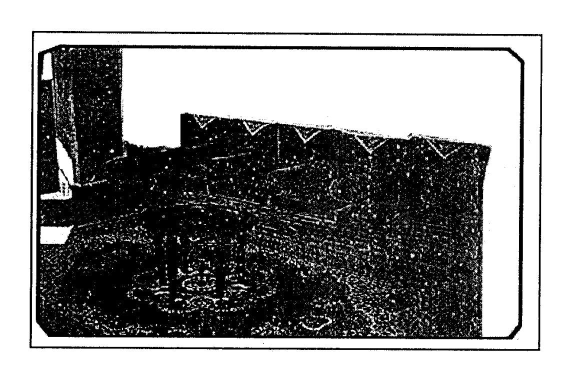
يشرح المهندس يحيي وزيرى مضامين ومعايير العمارة الإسلامية قائلاً :أهم هذه المعايير توافر الخصوصية للمسكن من الخارج ومن الداخل، وعدم الإسراف واستحباب المسكن الواسع والنهى عن التطاول في البنيان والاقتصاد فى الإنفاق .

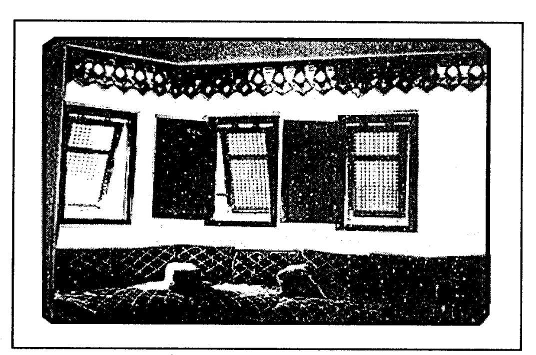
أسأله . . كيف يمكننا توفير هذه الخصوصية فى ظل الظروف الاقتصادية الصعبة التى تجعل أغلب الناس يحشرون فى مساكنهم كالسمك داخل علب السردين ؟

فيقول : الأساس أن أقل وحدة سكنية يجب ألا تقل عن غرفتى نوم وصالة منهما غرفة نوم للأب والأم والأخرى للأطفال . . كما يمكن تعويض نقص غرف النوم عن طريق استخدام الأثاث الداخلى «كالمصاطب» مثلاً ليلاً لنوم الأطفال ونهاراً لاستقبال الزوار، وهذا ما كان يحدث فى المساكن الإسلامية القديمة .

يعتقد بعض المعماريين أن التطاول في البنيان يحل أزمة السكن، فما رأيك ؟

– هذا المنطق ترفضه القيم المعمارية الإسلامية . . فبدون أى شك يتركز المعنى الحقيقى للتعمير فى التوسع الأفقى لا الرأسى والتكدس فى منطقة محدودة من الأرض يكون له آثار سلبية على المرافق العامة من صرف ومياه وكهرباء .





استخدام المصاطب بأسلوب عصرى مبسط .. أفكار تصلح
لمساكن الشباب الجديدة

سؤال : هل يمكن تطبيق المعايير الإسلامية على المباني العامة أيضاً ؟

- نعم ، فهناك معايير تصميمية عامة يجب أن تتوافر في المباني العامة ومن أهمها وجود المصلى في المبنى العام ، فالله تعالى يقول ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝ ﴾ [الماعون : ٤ ، ٥] . فالآية تنهى عن أن يسهو المسلم عن صلاته في أي مكان .. ولا خير في عمل يلهى عن ذكر الله ومن هنا تظهر أهمية وجود المصلَّى في المبنى العام .

أيضاً يجب الفصل بين المداخل وعناصر الاتصال الرأسية وأجنحة الرجال والنساء خاصة في المباني العامة كالمستشفيات مثلاً .

ويضيف .. لم تهمل أيضاً العمارة الإسلامية المباني التعليمية والسياحية ، فقد قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : «علموا أولادكم السباحة والرماية وركوب الخيل» ومن هنا يجب أن تضم المدرسة أماكن لممارسة الرياضة .

- ما هي المعوقات التي تحول دون تطبيق القيم المعمارية الإسلامية ؟

-أهم هذه المعوقات تكمن في مناهج العمارة الإسلامية الموجودة ، فهي تعتمد فقط على تدريس تاريخ العمارة أو الآثار الإسلامية ، أما مفهوم العمارة الإسلامية وكيف يمكن تطبيقها والمعايير التصميمية الإسلامية ، فهي لا تدرس ، وبالتالي لا يستطيع المهندس تنفيذها في حياته العملية ، والعقبة الثانية سببها قوانين

المبانى التى تهتم فقط بمسائل شكلية فى المبنى مثل عدد الأدوار ومساحات المناور الداخلية وتغفل هذه القيم المعمارية .

- هل تلقى العمارة الإسلامية نجاحاً فى أنحاء العالم المختلفة ؟

نعم . . لا شك أنها تلقى نجاحاً بدليل أن بعض المعماريين فى الدول الأجنبية بدأوا يقتبسون الكثير من مفردات العمارة الإسلامية، فلا يختلف اثنان على أن معيار الخصوصية يجب أن يتوافر فى المسكن، كما أن الدعوة إلى الإتقان والاقتصاد . . دعوة عالمية وهناك منظمات مثل منظمة العواصم الإسلامية ومنظمة المدن العربية تتبنى هذا الفكر وتدعو إليه بتنظيم مسابقات سنوية فى أحسن ما يؤلف عن العمارة الإسلامية وأحسن المشروعات التى تلتزم بالقيم الإسلامية .

وهناك معماريون فى مصر وخارجها يتبنون هذا الاتجاه، منهم الدكتور عبد الباقى إبراهيم[1] الذى حصل على جائزة أحسن معمارى عربى والمعمارى الأردنى راسم بدران الحاصل على نفس الجائزة.

---

(١) تم إجراء هذا الحديث مع المؤلف قبل وفاة الدكتور عبد الباقى إبراهيم رحمه الله.

نشأت في الأعوام الأخيرة حركة نشطة لبناء المنشئات والقرى السياحية من أجل جذب أكبر عدد من السائحين الأجانب أو من أجل زيادة نشاط السياحة الداخلية ، ولا شك أن هذه الحركة النشطة قد يصاحبها في كثير من الأحيان مفاهيم خاطئة تقوم على أن صناعة السياحة ترتبط بالإرضاء المطلق لرغبات السائحين إرضاءً يعتمد على تقديم الخمور وإباحة الميسر (القمار) وبعض العروض الفنية الإباحية أو المسفة .

وكل هذا بدعوى إنعاش اقتصاديات البلاد وجلب أكبر كمية من العملة الصعبة ؛ لذلك فإنه يجب ألا ننساق انسياقاً أعمى لتحقيق كل رغبات السائح الأجنبي ، مما لا يتفق مع تعاليم ديننا كإقامة البارات وصالات القمار بالمنشآت والقرى السياحية .

وبالنسبة للقرى السياحية فمن الأفضل أن تخصص قرى سياحية خاصة للأجانب مفصولة تماماً عن القرى أو الشواطىء الخاصة بأهل البلاد حتى نتجنب إدخال أي عادات وتقاليد غريبة وشاذة يمكن أن تنتقل من هؤلاء السائحين الأجانب إلى أهل البلاد نتيجة للاختلاط ، كما أنه يجب إلزام السائح بقواعد سلوكية معينة خارج هذه القرى السياحية المخصصة لهم ، حتى نكفل حماية مجتمعنا من الفتنة ، ونحن بذلك لا نقيد حرية السائح ولكن

نعطيه بطريقة غير مباشرة فكرة حقيقية عن أخلاقياتنا، وهو ما يكون فيه أفضل دعاية لمجتمعاتنا فى الخارج .

أما بالنسبة للقرى والمنشآت السياحية الخاصة بأهل البلاد فيجب على المصمم المعمارى أن يراعى فيها تطبيق القيم المعمارية الإسلامية ، ومن أمثلة ذلك توفير الخصوصية الكاملة حيث يتم تخصيص قرى للشباب مفصولة تماماً عن قرى العائلات، وتمتد هذه الخصوصية للشواطىء .

لهذا فإن تخصيص حمامات سباحة مغلقة أو مسابح مقتطعة من البحر محمية من أنظار المتطفلين خاصة بالنساء يعطى فرصة للائى لا يقبلن حالياً من النساء على الاستمتاع بالشواطئ لقضاء أجازاتهم فى هذه النوعية من المنشآت أو القرى السياحية التى تتوافر فيها الخصوصية.

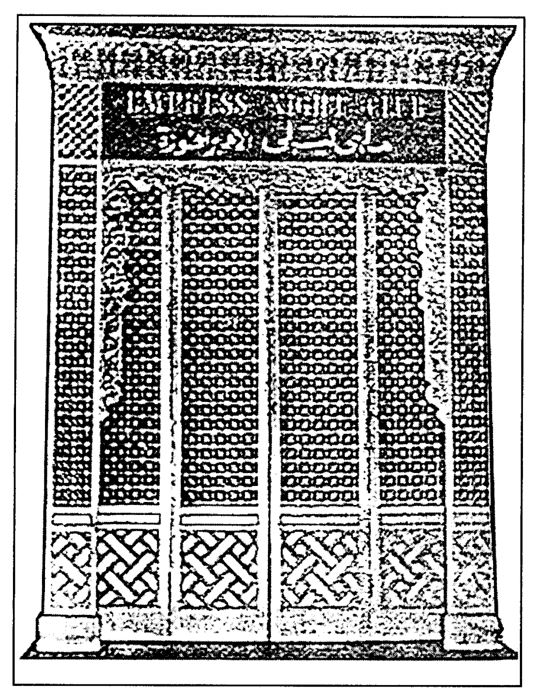
كما يجب على المصمم المعمارى أن يوفر أماكن للصلاة على طول الشواطئ، ويمكن أن تكون على شكل مظلات كبيرة تستخدم للحماية من أشعة الشمس وللاستراحة، فلا توجد أى ذريعة للذين يقضون كامل يومهم على شواطئ البحار دون تأدية الصلوات فى مواقيتها .

وكذلك لا بد من توفير أماكن للاستمتاع الفكرى والثقافى وتكون بديلاً عن الملاهى الليلية أو ما شابه كتوفير صالات لممارسة الرياضات الخفيفة أو إقامة متاحف للأحياء البحرية إن

كانت المنطقة **ساحلية** ، أو متاحف للآثار إن كانت منطقة أثرية وهكذا .

كما أنه لا يجب أن نكتفى فقط بإعطاء المنشآت السياحية قشوراً من **مفردات العمارة** الإسلامية معتمدين على جمال وجاذبية هذه المفردات فى حين أنه يمكن ألا تتفق وظيفة هذه المنشآت مع تعاليم الإسلام كأن نستخدم الديكورات الإسلامية فى ملهى ليلى أو صالات القمار وما شابه ، تحت شعار تشجيع السياحة وزيادة عائدنا من العملة الصعبة .

﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ إِن شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة :٢٨] صدق الله العظيم .



باب على الطراز الإسلامي لملهى ليلي ! !
الديكور إسلامي والوظيفة غير إسلامية

خصوصيات عمران مكة
أرض الله الحرام

كما اختار الله سبحانه وتعالى أربعة أشهر من شهور السنة وجعلها أشهراً حرماً . . يحرم فيها القتال والحرب هي رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم، فإنه كذلك اختار مكة أم القرى أرضاً حراماً لها خصوصياتها في أشياء كثيرة تتميز بها عن سائر القرى والبلاد .

ولقد نشأ عن هذه المكانة المقدسة لمكة أن أصبحت لها خصوصيات في تعميرها وعمرانها ، وتبدأ هذه الخصوصيات بالمسجد الحرام والذى يضم الكعبة المشرفة أول بيت وضعه الله للناس ، وهو البيت الذى يحج إليه المسلمون من كافة أقطار المعمورة كل عام، فالمسجد الحرام هو المسجد الوحيد على وجه الأرض والذى يمكن أن يتخذ شكل مسقطه الشكل الدائرى أو المثمن، وهذا ينبع من وظيفته التى ميزه الله بها على سائر المساجد ألا وهى الطواف حول الكعبة .

كما أن صفوف المصلين فى الصلاة تأخذ الشكل الدائرى حيث يتجهون إلى عين الكعبة قبلة المسلمين أما باقى مساجد الأرض حتى ما كان منها داخل مكة فإن أنسب شكل لها هو الشكل المستطيل بحيث يكون حائط القبلة يمثله الضلع الطويل من هذا المستطيل وبحيث يكون متجهاً جهة الكعبة المشرفة، وبهذا فإن هذه هى أول خصوصية يتمتع بها المسجد الحرام كأهم بناء موجود بمكة .

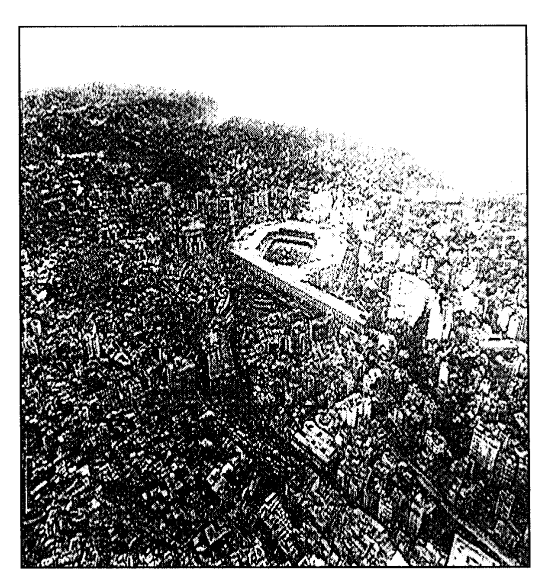
أما بالنسبة للمبانى الأخرى بمكة فإنه يجب عند تصميمها والقيام بتنفيذها مراعاة المحافظة على السمات الأصلية للموقع

الذى يبنى فيه هذا المبنى وهذا لحديث الرسول ﷺ الذى رواه الإمام مسلم حيث قال فى يوم فتح مكة: «إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السماوات والأرض فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة، وأنه لم يحل القتال فيه لأحد قبلى ولم يحل لى إلا ساعة من نهار، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة، لا يعضد شوكه ولا ينفر صيده، ولا يلتقط لقطته إلا من عرَفها ولا يختلى خلاها فقال العباس: يا رسول الله إلا الإذخر فإنه لقينهم ولبيوتهم، فقال: إلا الإذخر».

فمن الحديث نجد أنه عند التعمير والبناء فى مكة يجب ألا تقطع شجرة أو ينفر حيوان، وبهذا يتكامل العمران فى مكة مع بيئتها الطبيعية ويحافظ عليها على مدى الأيام والسنين بحيث يشاهد الحاج نفس أنواع النباتات والأشجار التى كانت موجودة بمكة منذ عهد سيدنا إبراهيم وفى أماكنها الطبيعية التى تمت فيها، وقد استثنى الرسول عليه الصلاة والسلام نبات الإذخر وقد كان يستخدم في تسقيف البيوت والأبنية المختلفة .

وقد اتفق العلماء على تحريم قطع أشجار مكة التى لم ينبتها الناس فى العادة وعلى تحريم قطع خلاها، وأما ما يستنبته الناس فاختلفوا فيه واختلفوا فى ضمان الشجر إذا قطع فقال مالك: يأثم ولا فدية عليه، وقال الشافعى وأبو حنيفة: عليه الفدية واختلفا فيها فقال الشافعى: فى الشجرة الكبيرة بقرة وفى الصغيرة شاة وبه قال أحمد وقال أبو حنيفة: الواجب فى الجميع القيمة.

هذه هى بعض الخواطر السريعة حول خصوصيات عمران مكة أرض الله الحرام والتى اختارها الله سبحانه وتعالى كأرض مقدسة تستقبل ضيوفه من حجاج بيته الحرام على مر الأعوام والسنين.



جانب من مكة المكرمة.. أم القرى
ويظهر في وسطها المسجد الحرام

الفصل الخامس

أحلام معمارية قابلة للتطبيق

إن الدعوة للبحث عن شخصية متميزة للعمارة المصرية المعاصرة دعوة لإحياء قيم معمارية و ثقافية افتقدناها فى مسيرة التطور الخاطىء، دعوة للانتماء والتكيف مع البيئة كمكان وكتاريخ، دعوة لأن نشعر بالثقة بالذات وبالنفس كما أنها دعوة لأن نشارك فى صنع الحضارة ومستقبل أفضل للأجيال القادمة.

دعونا ألا نستسلم لليأس أو يصيبنا الإحباط من الواقع المحيط بنا، فكما يقولون فإن مسيرة الألف ميل تبدأ بخطوة، وشعب عريق كالشعب المصرى قادر على تغيير واقعه والتغلب على أزماته ولو على المدى الطويل بتحويل الطموحات والأحلام إلى واقع جميل ملموس، فيمكن بتطبيق بعض الأفكار المعمارية البسيطة أن تتحول مساكن الشباب فى المناطق والمدن الجديدة إلى مبانٍ جميلة جذابة، كما يمكن أن يكسو اللون الأخضر شرفات وأسطح المبانى كما تتخللها الحدائق والمسطحات الخضراء يمكن لكل إنسان أن يجد له مكاناً تحت الشمس فلا فرق بين سليم ومعاق.

بتكاتف جميع أفراد المجتمع خاصة القادرين منهم على العطاء يمكن أن نعيد لمبانينا ومدننا الوجه الجميل الذى افتقدته لسنين طويلة... المهم أن نبدأ من الآن لنحقق بعض الأحلام المعمارية القابلة للتطبيق.

مساكن.. لا مخازن!!

بالرغم من الظروف الاقتصادية الصعبة التى تمر بها البلاد، وبالرغم من أزمة الإسكان المستحكمة والتى أطلق عليها البعض بأنها أزمة ومشكلة ليس لها حل، وبالرغم من الإحباط الذى يشعر به الكثير من الشباب فى مقتبل حياتهم العملية نتيجة لعدم قدرتهم على تحقيق أحلامهم وطموحاتهم أو حتى بعضاً منها.. بالرغم من كل هذا فإن من حق الشباب أن يحلم ويتفاءل، فكم من واقع جميل بدأ بفكرة أو حلم، والتفاؤل مطلوب دائماً مهما كانت الظروف والصعاب.

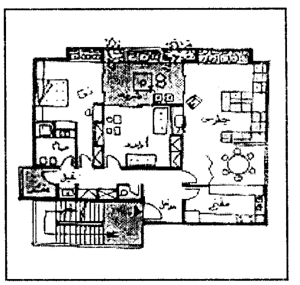
فأنا - شخصياً - عندما أفكر فى حل لمشكلة الإسكان لا أفكر فيها من زاوية تحقيق أكبر كم من الوحدات السكنية لإيواء من لا مأوى لهم من الشباب المقبلين على الزواج، ولكن أنظر لهذه المشكلة من زاوية الحل الجذرى والنهائى ولو على المدى الطويل وليس بأسلوب المسكنات والذى أثبت فشله.

فالكثيرون يرون أن المدخل لحل مشكلة الإسكان هو توفير أكبر عدد من الوحدات السكنية ذات المساحات الصغيرة جدا والغرف القليلة أيضاً والتى ربما تصل إلى غرفة واحدة وصالة، وبهذا الفكر والأسلوب تحل مشكلة الإسكان وكأننا نتعامل مع كميات من البضاعة نريد تخزينها فى مخازن لا تكلفنا إلا أقل القليل ونتناسى أننا نتعامل مع بشر لهم أحاسيس وآمال وطموحات!

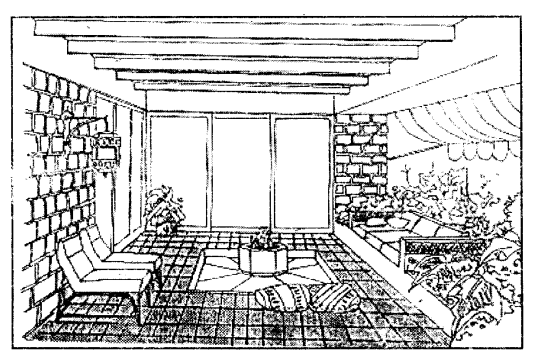
حقا إن الإمكانات المادية أصبحت تتحكم فى كل صغيرة وكبيرة من حياتنا ولكن يجب أن نضع فى اعتبارنا ونحن نبحث عن حل لمشكلة الإسكان أننا لا نتعامل مع آلات أو جمادات، فليس من الممكن أن نطالب الإنسان غير المستقر نفسيا نتيجة سكنه فى هذه الجحور الضيقة والتى تخلو من أى لمسة جمالية أن يزيد الإنتاج أو أن يبدع فى مجال عمله ويتفانى فيه.

وإننى أتخيل أنه إذا كنا نضع الاعتبارات الاقتصادية ونحن نضع حلولا لمشكلة الإسكان فيجب أن يكون ذلك من خلال إطار جمالى يحترم آدمية الإنسان فمثلا: فى الوحدة السكنية - حتى ولو كانت صغيرة - ينبغى توفير شرفة بها بحيث تسمح أبعاد هذه الشرفة بجلوس أفراد العائلة معا حول نافورة صغيرة مع وجود بعض النباتات حولها وسوف يكون لذلك أكبر الأثر فى إدخال البهجة على أفراد هذه العائلة وجمع شملها فى عصر امتلأت فيه حياة الإنسان بالمشاكل اليومية فلا أقل من أن نوفر الهدوء والراحة لهذا الإنسان فى داخل بيته.

ومثل هذه الشرفة والتى تعتبر كبديل للفناء الداخلى والذى كانت تتميز به البيوت الإسلامية والعربية القديمة لن تكلفنا الكثير كما يمكن أن يتصور البعض وإمكانية عمل النافورة الصغيرة تكون بالاستعانة بموتور كهربائى تكفى كمية بسيطة من الماء لتشغيله فى دورة مغلقة بحيث لا يكون هناك إهدار لأى كمية من الماء وحتى لو كلفتنا هذه الشرفة الحدائقية بعض مئات من



مسقط أفقى (تصميم م / صلاح كامل)



شرفة واسعة ونافورة بكل وحدة سكنية كبديل للفناء بالمنازل القديمة
(فكرة يمكن أن تصلح لمساكن الشباب الجديدة)

الجنيهات أكثر من التكاليف الأصلية للوحدة السكنية فلا بأس بذلك لأن هذه الجنيهات المعدودة سوف توفر على مدى عمر سكان هذه الوحدة السعادة والإمتاع.

إن تصميمات تحتوى على أفكار مثل الفكرة السابقة ـ مستوحاة من تراثنا المعمارى لهى جديرة بالتنفيذ وخاصة فى المدن والمجتمعات الجديدة والتى تحمل فى طياتها فكر الشباب وطموحاتهم وآمالهم، ولأن مثل هذه الأفكار تحقق المعنى الصحيح لكلمة «سكن» يستقر فيه الإنسان ويشعر فيه بالراحة والاستقرار لتكون عنده القدرة على مواجهة مشاكل الحياة التى لا تنتهى.

إن علينا عندما نفكر فى حل مشكلة الإسكان أن ننظر إليها بفكر طموح ومتفائل حتى نضع لها الحلول الجذرية، وحتى لا نهدر أموالنا فى مسكنات لا تغنى من شبع ولا تسمن من جوع، فالمطلوب هو مسكن بسيط فيه جمال يجذب الشباب، ومن أجل الحصول عليه يكدون ويتعبون، ولنجعل هذه المساكن أحلاماً جذابة عندما يأوى إليها الشباب لا يشعرون بأنهم قد أضاعوا تحويشة العمر هدراً، أو أنهم كانوا يجرون وراء سراب أو أن طموحاتهم كانت أضغاث أحلام!

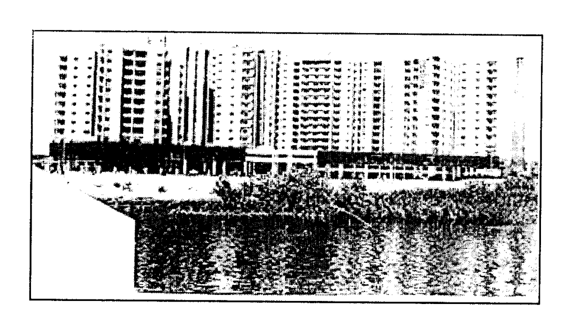
العمران حول ضفاف النهر

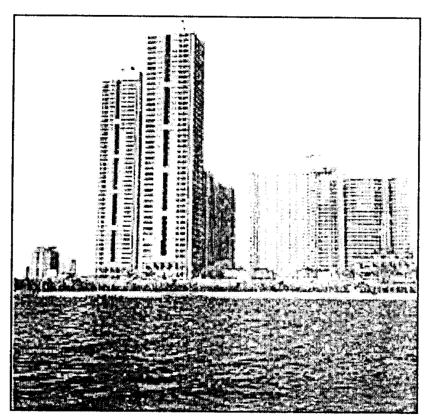
يتعرض نهر النيل وهو شريان الحياة الرئيسى بمصر لأشكال متعددة من الاعتداءات عليه بإلقاء مخلفات الصرف الصحى وكذلك مخلفات المصانع والتى تقع عليه مباشرة أو على فروعه أو مرور بواخر الديزل فى مياهه وكثافة المدن على شواطئه، وقد باتت جميعها تهدد النيل العظيم يوماً بعد يوم، ذلك بالإضافة إلى سلوك بعض المواطنين وإلقائهم للنفايات الضارة والحيوانات النافقة فى مياهه.

كل هذا يدعونا إلى الجدية والاهتمام بتطبيق قانون ٤٨ لسنة ١٩٨٢ ودراسة الأساليب التى تسهل من تطبيقه وفعاليته بل وجود جهاز خاص إذا لزم الأمر لحماية نهر النيل من هذه السموم والأخطار بالتعاون مع شرطة المسطحات المائية.

وقد سبق أن أظهرت مخاوفى فى مقال سابق من أن يأتى اليوم الذى يحاط فيه نهر النيل من جانبيه بسور عال ضخم من الخرسانة المسلحة تشكله واجهات هذه الأبراج العالية الممتدة على طول شواطئه.

من هنا يجب أن نقف وقفة متأنية لنرى ما يجب أن يكون عليه نمط وأسلوب البناء والعمران على ضفاف النهر فإنى أناشد الخبراء ممن يتولون هذه المسئولية أن يأخذوا فى اعتبارهم ودراساتهم إيجاد الحدائق والفراغات العامة بقدر الاستطاعة من خلال المساحات





هكذا أصبح نمط العمران حول نهر النيل العظيم..
حوائط خرسانية عالية تشكلها واجهات الأبراج المطلة عليه

والأراضى المملوكة للدولة على ضفاف النهر، فنهر النيل ملك لكل المصريين ومن حق الشعب التمتع به من خلال الحدائق والمنتزهات التى يجب أن تقام على طول شواطئه وتعتبر كمتنفس طبيعى لسكان القاهرة.

كما أتمنى أن يتم تجميل شارع كورنيش النيل وفى أماكن مختارة ومدروسة بعناصر الفن التشكيلى ويمكن أن تتداخل مع النهر فى تصميم فنى جميل عن طريق عمل جزر صناعية مثلاً فى بعض الأماكن الذى يسمح فيها عرض النهر بذلك وبحيث لا تعوق الملاحة فيه.

أما بالنسبة للمبانى الخاصة على ضفاف النهر فيجب مراعاة التدرج فى ارتفاعاتها بحيث يقل ارتفاعها كلما اقتربت من النهر ولا مجال هنا للقول بارتفاع سعر هذه الأراضى مما يستوجب استغلال أقصى ارتفاع ممكن، فالمنفعة العامة أهم وأبقى من المنفعة الخاصة، ولكن يمكن أن ترى الدولة كيفية تعويض أصحاب هذه الأراضى مادياً نتيجة التزامهم بعدم إقامة المبانى العالية على ضفاف النهر.

ويتبقى أن نراعى الطابع المعمارى للمبانى التى سوف تقام حول ضفاف النهر فإننا وإن كنا نطالب بوجود طابع معمارى مصرى وعربى فى جميع أنحاء البلاد فإن مطالبتنا بهذا الطابع الأصيل تكون أشد حول ضفاف نهر النيل.

إن التطور السريع ونمو القاهرة وامتدادها العمرانى وزيادة عدد السكان وظهور ما يسمى بظاهرة الإسكان العشوائى، كل هذا أدى إلى زيادة أكوام القمامة والنفايات بها مما شوه وجهها الحضارى وخلف أثره السيىء على البيئة والمواطنين.

ولا شك أنه توجد طرق تقليدية كثيرة لجمع ونقل القمامة والتخلص منها تعتمد فى أغلبها على الزبال التقليدى والذى ينقل القمامة فى عربة خشبية تتساقط منها نصف كمية القمامة تقريباً فى الشوارع والطرقات أو بالاعتماد على الأكياس البلاستيك وسيارات خاصة لجمع القمامة توفرها المجالس المحلية وهى لا شك أفضل من الأسلوب الأول.

وهناك أسلوب بسيط يمكن تطبيقه على المناطق السكنية الجديدة عشوائية التخطيط والتى لا تتوافر بها شبكات للمجارى والصرف الصحى ذات مستوى جيد، وهو أن تزود العمارات السكنية بمواسير رأسية توضع على الحائط المجاور للمطابخ بحيث يمكن لربة البيت عن طريق فتحة داخل المطبخ إلقاء القمامة بهذه الماسورة حيث تتجمع كل قمامة العمارة اليومية بالدور الأرضى أو البدروم فى مكان مخصص لذلك حيث تدخل عربات خاصة لرفع هذه القمامة والاستفادة بها هى ومخلفات الصرف الصحى

بوضعها بخزان أرضى بالموقع يخصص لكل مجموعة من العمارات وبجانبه مولد للغاز البيولوجى الطبيعى ويمكن مد مواسير منه إلى العمارات الموجودة بالموقع ليستفاد من هذا الغاز داخل المنازل .

وبذلك نكون قد وفرنا فى تكاليف إنشاء شبكة كاملة للصرف الصحى وكذلك مصاريف الصيانة نتيجة للأحمال الزائدة وسوء الاستخدام ونكون قد وفرنا أيضاً فى مصاريف جمع ونقل القمامة ثم التخلص منها وتحقيق حد مرتفع من نظافة البيئة مع استغلال الموارد المتاحة المتمثلة فى مخلفات الصرف الصحى والقمامة المنزلية لتوفير الطاقة، ويبقى بعد ذلك استثمار الجهود الذاتية والمشاركات الجماعية للسكان فى زراعة وصيانة المناطق المفتوحة داخل مواقع الإسكان المختلفة وبذلك نبدأ فى نشر المسطحات الخضراء بالتدريج فى هذه المواقع مما يعطى شعوراً لهؤلاء السكان بالانتماء لبيئتهم وكذلك حرصهم على بقائها نظيفة وجميلة دائماً .

كيف يمكن الاستفادة من أسطح المساكن؟

فى ظل الارتفاع الكبير لأسعار الأراضى داخل المدن القائمة، إلى جانب عدم توافرها تظهر أهمية وضرورة الاستفادة من أسطح المبانى وخاصة السكنية والتى تبدو أسطحها فى كثير من الأحيان نتيجة لعدم الاستعمال وإهمال تنظيفها وكأنها مقالب للقمامة تعلو هذه المبانى.

ولا شك أن فكرة الاستفادة من أسطح المساكن يجب أن تتبلور من خلال أفكار بسيطة وغير مكلفة ولا تمثل أى عبء على أساسات هذه المبانى.

لذلك فإن تحويل هذه الأسطح إلى حدائق علوية وخاصة وفى ظل قلة المتنفسات الطبيعية الخضراء داخل المدن المصرية القائمة تبدو ضرورة ملحة إلى جانب حلها للكثير من مشاكل سكان هذه العمارات على مختلف أعمارهم.

فحدائق السطح هذه تعتبر كبديل للفناء الداخلى فى البيت الإسلامى القديم من حيث تواجد النباتات أو النوافير داخل هذا الفناء ومحاولة إيجادها فوق أسطح المبانى، كما أنها تعتبر كمكان لتجمع عائلات كل مبنى سكنى مما يوثق عرى المحبة والألفة بين جيران العمارة السكنية الواحدة، وهى لا شك إحدى القيم الإسلامية التى حث عليها الإسلام.

هذا إلى جانب توفير مسطح لحديقة بكامل مسطح العمارة كان لا يمكن أن يتوافر لساكنى هذه العمارة لعدم وجود الأراضى الكافية لذلك.

أما بالنسبة لشباب كل عمارة سكنية فيمكن أن يتوافر مكان لهم بالهواء الطلق لممارسة بعض التمرينات الرياضية الخفيفة أو ممارسة بعض الألعاب الرياضية الخفيفة كالبنج بونج مثلاً بدلاً من انتشار طاولات اللعبة فى الكثير من شوارع الأحياء السكنية وخاصة الشعبية منها فى ظل عدم توافر النوادى الرياضية.

كما أن هذه الحديقة تكون كمجال للتعاون بين الشباب لإخراجها فى أجمل صورة ثم المداومة على رعايتها فيما بعد مما يجعلهم يقضون أوقات فراغهم خاصة فى الأجازات الصيفية فيما يفيد وينفع.

أما بالنسبة لأطفال كل مبنى فيمكن أن يقتطع جزء من هذه الحديقة العلوية ويوضع به بعض ألعاب الأطفال كالمراجيح أو ألعاب التزحلق وما شابه، وبذلك نكون قد وفرنا لأطفال كل مبنى روضة صغيرة من رياض الأطفال وهى قلما توجد حتى على مستوى بعض الأحياء السكنية بأكملها.

ولا شك أن حديقة السطح هذه سوف تختلف من مبنى إلى آخر حسب المستوى المادى لساكنيه ففى عمارات التمليك حيث يوجد مجلس إدارة لكل عمارة وحيث يمكن توفير الإمكانيات المادية تبدو هذه الفكرة أقرب للتنفيذ.

ولكن ليس من المهم أن يتحول سطح العمارة إلى حديقة بين يوم وليلة ولكن يمكن أن تتم هذه الحديقة على مدى شهور عديدة أو حتى سنين قليلة وذلك بإسهام مادى بسيط من كل وحدة سكنية بالعمارة لتحقيق حلم جميل ومنفعة عامة كغرس قيم فاضلة من التعاون والألفة بين جيران المسكن الواحد وبين الشباب والأطفال أيضاً .

لذلك فإننى أعتقد أنه في المرحلة القادمة من حياتنا يجب أن نعيد اللون الأخضر لمدننا وكذلك لأسطح وشرفات مساكننا ، وبذلك يمثل اللون الأخضر المتمثل فى هذه الحدائق جمالاً مادياً ويحمل فى طياته قيماً إنسانية جميلة من المحبة والتعاون يجب أن تعود لمجتمعنا .

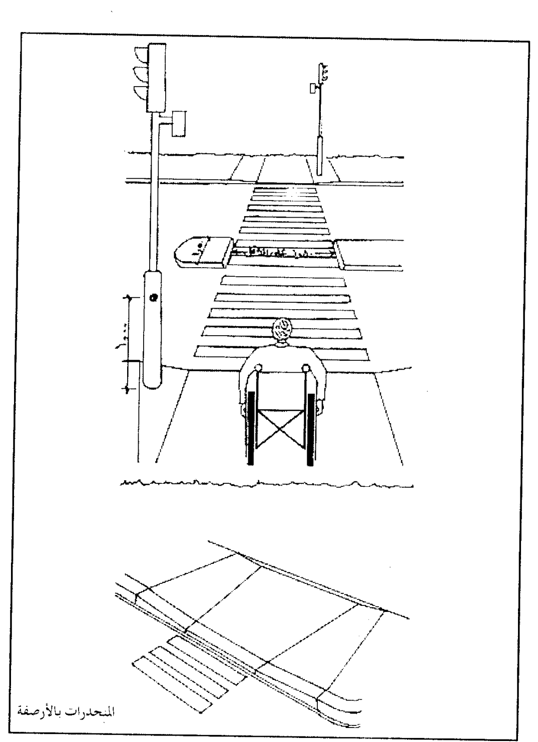
التصميم المعماري في خدمة المعوقين

إن الاهتمام بالمعوقين ومشاكلهم أصبح من الأشياء التي يقاس بها مدى تقدم المجتمعات أو تأخرها، وإذا عرفنا أن نسبة المعوقين في أغلب المجتمعات تتراوح من ١٠٪ إلى ١٥٪ فإنه يتضح لنا أنها نسبة فعالة في أي مجتمع لا يمكن إهمالها أو التغاضي عنها مما يجعلنا نفكر في أساليب الاستفادة من طاقات المعوقين في بناء المجتمع وخاصة أن الاتجاهات الحديثة تهدف إلى دمج المعوقين في المجتمع للمشاركة في الحياة العامة.

وهنا يظهر دور التصميم المعماري ليكون في خدمة المعوقين فعلى سبيل المثال فإن توفير منحدرات في مداخل المباني الرئيسية والهامة على مختلف أنواعها سوف يكون له تأثير إيجابي في تفادي عوائق السلالم المنتشرة في مداخل هذه المباني وينطبق ذلك أيضاً على أهمية توفير منحدرات صغيرة تكفي لاستعمال الكرسي المتحرك للمعوق وذلك بالأرصفة عند أماكن عبور المشاة الرئيسية.

وإنني في كثير من الأحيان أتعجب عندما يغفل المصمم المعماري عن أهمية وجود منحدر لاستعمال المعوقين في مداخل الجوامع الرئيسية متناسياً أن أداء صلاة الجمعة في المساجد واجب على الأصحاء والمعوقين على حد سواء.

وبالرغم من ذلك فإن التفاؤل يدفعني في كثير من الأحيان بأن



مراعاة حقوق المعوقين فى رصيف آمن به منحدرات
وأماكن عبور مشاة مهيأة بأسلوب يراعى ظروفهم الخاصة

يتم توفير دورات مياه مصممة خصيصاً للمعوقين فى المبانى المهمة كالمطارات مثلاً، فهذا ما شاهدته فى مطار «أورلى بباريس».

كما إننى أتمنى أن يأتى اليوم الذى أشهد فيه كابينة تليفون ذات ارتفاع يتناسب مع مستعملى الكراسى المتحركة فى الميادين الهامة.

كما أرى أنه من حق أبطالنا الرياضيين المعوقين أن يجدوا الملاعب والمراكز الرياضية المصممة خصيصاً لهم على مستوى مدن الجمهورية ليمارسوا أنشطتهم الرياضية بسهولة ويسر وتكون كمتنفس لباقى المعوقين المحرومين من ممارسة الأنشطة الرياضية المختلفة.

إن مبدأ وجود مجتمع وبيئة بلا عوائق يرتكز على ألا تقتصر الخدمات والتسهيلات على جزء من المجتمع دون الآخر ، فأساس هذا الفكر الراقى والذى تتجه إليه جميع المجتمعات المتقدمة هو إرساء مبدأ العدالة بين جميع فئات المجتمع، وقد كان الإسلام سباقاً فى إرساء هذا المبدأ الهام مصداقاً لقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَأُمِرْتُ لأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ﴾ [الشورى: ١٥].

الوجه الإسلامى يعود للقاهرة

١٥ مارس يوم المدينة العربية وفى هذه المناسبة أتكلم عن مدينة القاهرة.. حاضرة العواصم العربية والإسلامية التى أطلق عليها مدينة «الألف مئذنة» والتى تعدت مآذنها الآن الألفى مئذنة.. هذه المدينة نشأت إسلامية من حيث تاريخها ومبانيها معبرة بذلك عن الحضارة الإسلامية فى جوهرها ومظهرها. ولكن ما الذى حدث؟

لا شك أن القاهرة الحديثة بوجهها الغربى تختلف كثيراً عن قاهرة المعز بعد أن أصبحت لا تمت بصلة للقاهرة الإسلامية القديمة إلا من حيث الامتداد الجغرافى والعمرانى، ومن هنا يجب أن نقف وقفة متأنية محاولين إزالة القناع الغربى المشوه لوجه القاهرة الحديثة وأن نعيد لها وجهها الحقيقى.. أقصد الإسلامى.

ونحن عندما نفكر جدياً فى إعادة الوجه الإسلامى للقاهرة فإنه يجب علينا أن نتحرك من خلال عدة محاور تشمل الميادين العامة والشوارع والمبانى.

فبالنسبة للميادين الرئيسية تجد على سبيل المثال ميدان التحرير والذى تفرض المبانى الهامة المطلة عليه بأن يكون طابعه إسلامياً حيث يطل عليه جامع عمر مكرم ومبنى المجمع ومبنى جامعة الدول العربية ومبنى الجامعة الأمريكية وكلها مبان تتسم بالطابع الإسلامى، وما يقال عن ميدان التحرير يمكن أن يقال عن ميدان رمسيس حيث يطل عليه جامع الفتح والتى تعتبر مئذنته من أعلى مآذن مساجد الشرق الأوسط وكذلك المحطة الرئيسية

للقطارات بمبانيها ذات الطابع الإسلامى، فلتكن البداية بمثل هذه الميادين الرئيسية والتى تحتاج إلى كثير من التخطيط والتجميل مع مراعاة تنظيم حركة المرور والمشاة بها.

أما بالنسبة للشوارع وخاصة الرئيسى منها فيمكن بلمسات بسيطة إضفاء الطابع الإسلامى عليها وذلك بإضافة بعض اللمسات الجمالية على أعمدة الإضاءة مثلاً، أو على وضع بعض اللافتات فى أماكن مدروسة منها مكتوب عليها بعض الآيات القرآنية أو بعض الأحاديث النبوية مع نزع الإعلانات واللافتات التي تخدش الحياء العام سواء كانت تجارية أو سينمائية أو ما شابه، وقبل كل ذلك الاهتمام برصف هذه الشوارع وتعبيدها جيداً وتشجيرها.

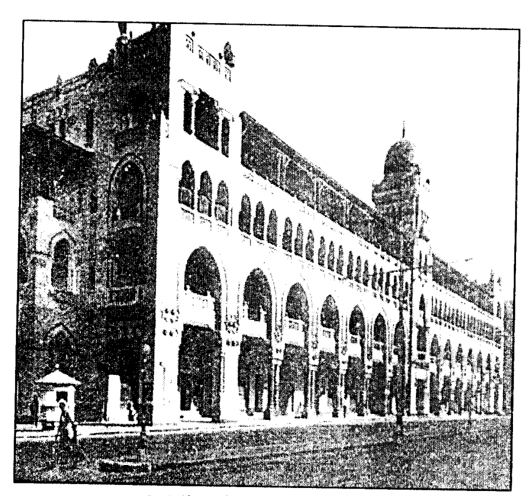
أما المبانى على جانبى الطرق وخاصة العامة منها فيجب أن نراعى عند تجديدها إضفاء بعض اللمسات الإسلامية على واجهاتها ولا نكتفى بدهانها فقط، أما المبانى التى لم تنفذ بعد فيجب مراعاة التزامها بطابع عربى وإسلامى كشرط لحصولها على تراخيص البناء وبذلك نقلل من كرنفال العمارة الموجود الآن بالقاهرة.

ونحمد الله فلدينا من المعماريين والفنانين التشكيليين المصريين القادرين على إعطاء تصورات مدروسة لأسلوب تجميل القاهرة ويا حبذا لو كان ذلك عن طريق المسابقات المعمارية.

وتبقى مشكلة التمويل وأعتقد أنه يمكن التغلب عليها حيث يمكن أن تساهم الشركات الخاصة والبنوك أو أية جهات أخرى فى تمويل عمليات تجميل القاهرة نظير ضمانها لدعاية مناسبة توازى القيمة المشارك بها، وقد بدأت فعلاً الكثير من الشركات تطبيق

هذا الأسلوب بالتعاون مع أحياء القاهرة المختلفة من إنشاء النوافير الجميلة فى الميادين الفرعية بهذه الأحياء نظير كتابة اسم الشركة على هذه النافورة .

ومن ذلك يتضح لنا أنه يمكننا أن نغير وجه القاهرة للأحسن بل وإعادة وجهها الإسلامى لها وذلك بالصدق وبتعاون كل أبناء مصر وهذا أقل ما يمكن أن نقدمه لبلدنا الحبيب .



الطابع المعمارى المستلهم من العمارة الإسلامية
للمبانى التى أنشئت فى أوائل القرن العشرين فى مصر الجديدة

دارت مناقشات وحوارات عديدة بين المتخصصين حول الأسلوب الأمثل لتعمير «توشكى» كما أدلى بعض الكتاب والمثقفين بدلوهم فى هذا الموضوع الهام، وبالرغم من الآراء القيمة التى قيلت أو طرحت فقد لوحظ أن كثيراً منها قد تكلم عن كيفية أسلوب البناء فى الصحراء بصفة عامة على أساس أن «توشكى» منطقة صحراوية فى المقام الأول ولكن لم تحدد هذه الآراء كيفية استنباط اللغة المعمارية الخاصة بتعمير هذه المنطقة والتى لها بعض الخصوصية من حيث الزمان والمكان.

فكلمة «توشكى» كلمة نوبية معناها موطن نبات الغبيرة، فقد كانت منطقة توشكى تضم قريتين إحداهما شرق النيل وتسمى توشكى شرق والأخرى غرب نهر النيل وتسمى توشكى غرب، أى أن هذه المنطقة كانت تنتمى فى فترة من تاريخها إلى بلاد النوبة القديمة وهو ما تستمد منه الخصوصية الزمانية، وقد تميزت قريتا توشكى - غرب وشرق - بمبانٍ اعتمدت فى بنائها على المواد والخامات المحلية من الطين والحجر الرملى النوبى المتوفرة فى المنطقة، أما الأسقف فكانت تصنع من جريد النخيل المحمول على جذوع النخيل أيضاً، كما أن الأفنية الداخلية كانت أحد العناصر المعمارية التى ميزت المبانى فى مناطق النوبة القديمة بصفة عامة.

ونظراً لوقوع «توشكى» (خط عرض ٢٢,٤٠ شمالاً) فى

منطقة قريبة جداً من مدار السرطان فإن ذلك يجعل لها خصائص مناخية مختلفة عن العديد من المناطق الصحراوية الأخرى فى مصر وهو ما يميزها من حيث المكان والموقع الجغرافى.

فإذا كانت كميات الإشعاع الشمسى و درجات الحرارة عالية فإن أسلوب تعرض واجهات المبانى للإشعاع الشمسى يختلف أيضاً فى هذه المنطقة نتيجة لاختلاف زوايا الانحراف الأفقى للشمس مما يزيد من عدد ساعات تعرض الواجهات البحرية فى الصيف مقارنة بمناطق أخرى «كالقاهرة مثلاً» فى حين أن درجات الحرارة بنفس المنطقة قد تنزل تحت درجة الصفر فى بعض ليالى الشتاء، مما يحتم على المصمم التعامل بفكر تصميمى مختلف يتناسب مع هذه الظروف المناخية الخاصة والتى توضح أن إشكالية البناء والتعمير فى منطقة توشكى ربما تكون أكثر تعقيداً مما قد يتصور البعض.

من أجل هذه الخصوصية التى أوضحناها فإن التعجل بإقامة المبانى والتجمعات العمرانية فى توشكى دون عمل الدراسات المتأنية المستفيضة فذلك لن يكون فى مصلحة هذا المشروع المستقبلى العملاق ولن تكون لهذه التجمعات العمرانية المنشأة القدرة على مجابهة الظروف البيئية القاسية لهذه المنطقة مما لا يجعلها المكان المناسب لاستقبال واستقرار السكان والمهاجرين الجدد من مناطق مصر المختلفة لإقامة المجتمعات الجديدة.

ونكون بذلك قد ساهمنا فى قتل الحلم فى مهده قبل أن يجد طريقه للنور بتعمير شباب المستقبل لهذه المجتمعات، من هنا تظهر

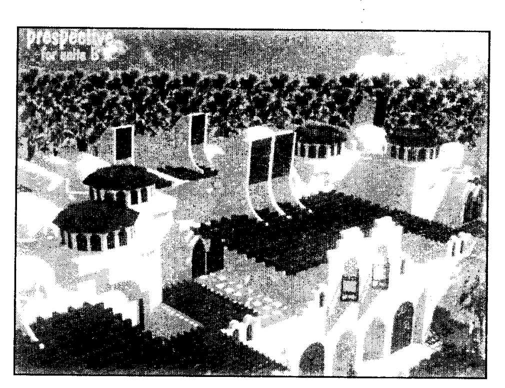
أهمية عمل الدراسات المعمارية والبيئية بأسلوب ومنهج علمى دقيق مبنى على التجربة والتطبيق، وبعد ذلك توضع نتائج هذه الدراسات تحت يد المصممين والمخططين لتخرج التصميمات والمخططات باللغة المعمارية والتى تتناسب مع المنطقة وخصوصياتها.

وإذا قال البعض إنه قد تم عمل بعض الدراسات على منطقة المشروع، فهل لى أن أنبه لبعض النقاط والجوانب الواجب دراستها من النواحى المعمارية والتخطيطية، فعلى سبيل المثال إذا كان لدينا كمتخصصين القناعة بأهمية استخدام الأفنية الداخلية فى بعض مبانى توشكى والتى كانت تستخدم بالفعل فى مبانى هذه المنطقة قديما كما ذكرنا، فهل توجد لدينا الأبحاث والدراسات العلمية التى توضح للمصمم ما هى أبعاد الفناء الداخلى الواجبة التطبيق والتى تسمح لحوائطه باستقبال أقل كمية من الإشعاع الشمسى صيفا وفى نفس الوقت أكبر كمية من الإشعاع الشمسى شتاءا.

وما ينطبق على الأفنية الداخلية يجب أن تتم دراسته بالنسبة للفراغات الخارجية بين المبانى أو فى تحديد أبعاد الشوارع وممرات المشاة.

أما إذا تكلمنا عن مواد البناء المتوفرة فى منطقة جنوب الوادى فهل تم عمل حصر شامل لهذه المواد والتى يأتى على رأسها خام الحجر الجيرى والتفكير فى استغلال هذه المواد البيئية بأسلوب يقلل من التكاليف الإجمالية للبناء؟ أم أننا سوف نعتمد على الخرسانة المسلحة كمادة أساسية للبناء لا تصلح للمناخ الصحراوى؟.

هل سنعتمد على مكيفات الهواء فى تبريد المبانى أم أننا سنتجه إلى استخدام التصميمات التى تعتمد على استخدام الطاقات



أحد التصميمات الفائزة فى مسابقة تخطيط وتصميم
مدينة توشكى التى أقامتها هيئة التخطيط العمرانى

الطبيعية كأبراج التبريد وملاقف الهواء وغيرها من أنظمة التبريد الطبيعية لتوفير الطاقة، وإذا كنا سنعتمد على هذه الأنظمة الطبيعية فى التبريد فهل قمنا بعمل التجارب التطبيقية على هذه الأنظمة من أجل الوصول لأفضل أداء لها؟

كما أتساءل أيضاً: هل سيتم دراسة وتقييم الآثار البيئية المتوقعة نتيجة إنشاء التجمعات العمرانية ودراسة كيفية الوصول إلى أقل تأثير سلبى ممكن على البيئة المحيطة بكل ما تحتويه من موارد طبيعية؟ أم أننا لم نتعلم الدرس مما حدث بالوادى القديم وستكرر الأخطاء بالوادى والدلتا الجديدة المزمع إنشاؤها؟

الأمثلة والتساؤلات السابقة قليل من كثير وهى تنبه إلى أهمية أن يكون لنا مدخل علمى واضح ودقيق يتناسب مع أهمية المشروع وخصوصية المنطقة، وأعتقد أن فى مصر من الباحثين والعلماء القادرين على استنباط اللغة المعمارية الخاصة بمنطقة توشكى، فتحديات التعمير تحتاج لاستنفار أكبر كم من التخصصات العلمية من مختلف التخصصات لمعرفة أكبر كم من المعلومات والنتائج المستخلصة من الأبحاث العلمية الجادة بحيث تصاغ وتوضع أمام المصممين لكى تخرج المبانى والتجمعات العمرانية مصممة على أسس علمية وصالحة لأن تكون بحق مستقرات عمرانية واعدة تعبر عن آمال وطموحات الشباب والمجتمعات الجديدة فى منطقة جنوب الوادى.

الفصل السادس

تأملات في عمارة المساجد

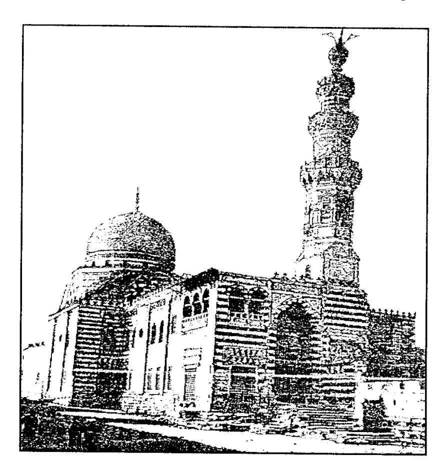
المساجد هي بيوت الله في الأرض، وهي الأماكن التي اختارها الله لإقامة الصلاة وأن يذكر اسمه فيها مصداقاً لقوله سبحانه وتعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾ [النور: ٣٦].

وللمسجد رسالة كبرى في المجتمع المسلم فهو أولاً مكان للعبادة، كما أنه معهد ومدرسة دينية تتربى فيها الأجيال المسلمة، وقد أخبرنا الله سبحانه وتعالى بأن أول بيت وضعه للناس في الأرض للعبادة هو المسجد الحرام بمكة المكرمة، وقد بوأ مكان البيت لسيدنا إبراهيم وابنه إسماعيل وأمرهما ببنائه، ثم قاما بتطهيره امتثالاً لأوامر الله من أجل استقبال الحجيج من كل أنحاء المعمورة.

وفي ذلك يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾[البقرة: ١٢٥]، فتطهير بيوت الله سواء أكان هذا التطهير معنوياً بمعنى ألا يعبد في المساجد إلا الله الواحد الأحد، أو بمعنى التطهير الحسي للبناء من كل ما يمكن أن يشغل المتعبدين عن ذكر الله والخشوع له واجب وأمر إلهي للذين يقومون بتعمير مساجده.

وإذا كان المسجد يمثل بالنسبة للمجتمعات المسلمة أهم بناء وأعلاها منزلة، من هنا كان لزاماً علينا أن نوضح بعض التأملات

وبعض النقاط المهمة التى ترتبط بعمارته بصفة عامة، مع توضيح بعض خصوصيات عمارة المسجد الحرام والذى يعتبر القبلة التى يتوجه إليها المسلمون فى صلاتهم فى كل أنحاء العالم، كما يؤدى فيه الحجيج بعضاً من أهم مناسك الحج والعمرة، ألا وهى الطواف حول الكعبة والسعى بين الصفا والمروة، كما حاولنا أن نستلهم بعض الدروس المعمارية من عمارة المسجد النبوى بالمدينة المنورة والذى يمثل مكانة خاصة أيضاً فى نفس كل مسلم ومسلمة.



مسجد قايتباى.. طراز مملوكى
نموذج لأحد المساجد بمدينة القاهرة

خصوصيات عمارة المسجد الحرام

عندما نقف متأملين أمام أول بيت وضعه الله للناس على الأرض محاولين أن نستلهم بعضاً من خصوصيات عمارة هذا البيت، فإنه تتضح لنا بعض المعانى والخصوصيات والتى ميز الله بها بيته عن سائر البيوت والعمائر الأخرى.

فلقد اشتمل المسجد الحرام على الحركات الأساسية والتى يمكن للبشر أن يتحركوا من خلالها وهى الحركة الدائرية فى طواف الحجيج والمعتمرين حول الكعبة والحركة الأفقية المستقيمة فى السعى بين الصفا والمروة، وهاتان الحركتان فى المسجد الحرام أساسيتان ولازمتان بمعنى أنه لا يمكن الاستغناء عنهما أو استبدالهما بأى شكل آخر من أشكال الحركة سواء كان ذلك فى الطواف أو السعى.

وعلى ذلك فإن توجيه الحركة داخل المسجد الحرام يعتبر إعجازاً وتحدياً للمعماريين على مر العصور، وذلك لأنه يمكن للمعمارى أن يصمم مبنى على شكل دائرة لتكون الحركة به دائرية ولكن يمكن لمعمارى آخر أن يصمم نفس المبنى على شكل مربع فتصبح الحركة داخله على شكل خطوط مستقيمة.

ومن هنا فإن المسجد الحرام هو المبنى الوحيد الذى به الحركة الدائرية لازمة ولا يمكن استبدالها بشكل آخر من أشكال الحركة لأن الطواف حول الكعبة يوجب تلقائياً الطواف فى خطوط دائرية، كما أن الحركة المستقيمة به لازمة أيضاً لأن السعى بين «جبلى الصفا والمروة» يكون على شكل خطوط مستقيمة والحركة هنا لا يمكن تغييرها أيضاً.

وعلى هذا فإن المسلمين عندما يلتزمون بهذا التوجيه فى الحركة سواء كانت دائرية حول الكعبة أو مستقيمة عند السعى فإن هذا الالتزام ينبنى على طاعة الله والالتزام بأوامره، وهنا يتجلى معنى عميق لعمارة المسجد الحرام وتوجيه الحركة داخله، ولا يمكن أن «يتواجد» فى أى مبنى آخر مهما بلغت روعة تصميمه لأن الذى وضع أسس توجيه الحركة داخل المسجد الحرام هو الله سبحانه وتعالى.

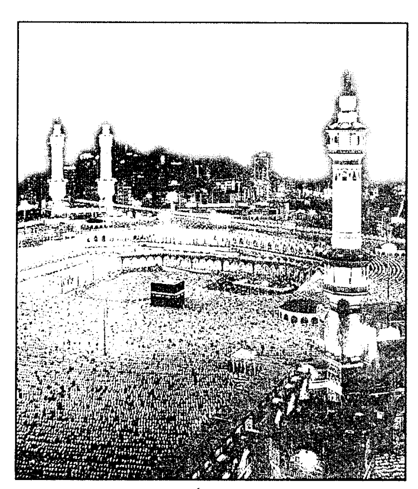
ولكن يبقى للمعمارى المسلم أن يتعلم الدرس الإلهى فى أسلوب توجيه الحركة فى أول بيت وضعه الله للناس، وبذلك فإنه يمكن أن نُعَرِّف العمارة من هذه الوجهة بأنها: «فن توجيه الحركة داخل الفراغات المعمارية».

وإذا كنا قد أوضحنا أن المسجد الحرام يتميز عن سائر مساجد الأرض لأن به الكعبة المكرمة والتى تعتبر مركزاً يطوف المسلمون حوله، فإنها أيضاً هى قبلة المصلين بالمسجد الحرام وذلك لأن استقبال عين الكعبة - لا جهتها - شرط لصحة الصلاة داخل المسجد الحرام وذلك لمن يراها.

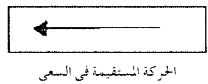
ومن هنا نجد أن الشكل الدائرى أو المثمن بحيث تكون الكعبة فى مركز هذا الشكل هو الشكل الأمثل للمسقط الأفقى للمسجد الحرام حيث يتيح للمصلين فى المسجد الحرام أن يستقبلوا عين الكعبة بسهولة ويسر من أى اتجاه، كما أن الشكل الدائرى أو المثمن يتناسب مع حركة الطائفين حول الكعبة فى دوائر متتالية.

وبذلك نجد أن الشكل الدائرى ينبع من مضمون الوظيفة الرئيسية للمسجد الحرام، سواء كان ذلك فى الصلاة أو الطواف.

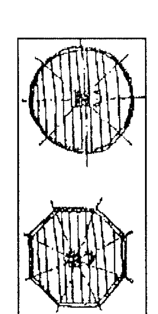
لذلك فإنه من الناحية العملية يجدر بنا أن نصل بشكل المسجد الحرام إلى الشكل الدائرى أو المثمن، وذلك من خلال الزيادات التى تضاف إلى مساحته كل فترة زمنية أو على الأقل إذا كانت هذه الزيادات من جهات معينة دون أخرى فيحسن أن تأخذ خطوطاً دائرية بحيث يكون مركزها الكعبة المكرمة، الأمر الذى يساعد على توجيه المصلين نحو عين الكعبة بسهولة ويسر وهو ما يحقق أحد شروط صحة الصلاة داخل المسجد الحرام.



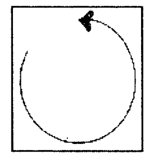
المسجد الحرام والكعبة المشرفة



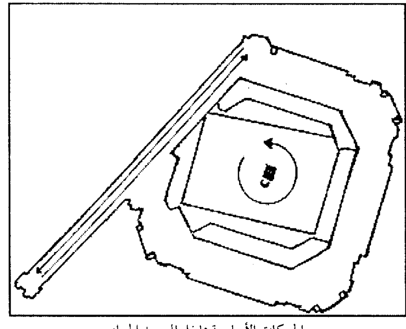
الحركة المستقيمة فى السعى



الشكل الدائرى أو المثمن
يصلحان فقط للمسجد الحرام



الحركة الدائرية فى الطواف



الحركات الأساسية داخل المسجد الحرام

دروس معمارية.. مستوحاة من عمارة المسجد النبوى

لا شك أن مسجد الرسول ﷺ يعتبر حدثاً فريداً فى تاريخ العمارة، فهو يعتبر أول بناء خالص يمكن أن يطلق عليه بناء إسلامى.

وها هو رسولنا الكريم عليه الصلاة والسلام يعطينا بعضاً من المفاهيم والدروس المعمارية عند بنائه لمسجده بالمدينة المنورة هو وصحابته الكرام.

وأول درس أعطاه لنا عندما اشترى الأرض التى بنى عليها مسجده وكانت مملوكة لغلامين يتيمين من الأنصار اسميهما «سهل» و«سهيل» فدعاهما الرسول الكريم لشرائها فقالا: بل نهبها لك يا رسول الله.

ولكن الرسول عليه الصلاة والسلام أبى واشترى الأرض بعشرة دنانير ليضع قاعدة هامة عند اختيار الأراضى التى تبنى عليها المساجد وكانت ذات ملكية خاصة فيجب أن تؤخذ موافقة أصحابها وأن يتم تقدير ثمنها دون بخس لهذا الثمن، فالله طيب لا يقبل إلا طيباً.

والدرس الثانى فى تجهيز الموقع وإعداد مواد البناء، فلقد كان بالأرض عند شرائها نخيل وقبور فأمر بالنخيل أن تقطع وبالقبور أن تنقل وأن يغيبوا العظام الموجودة بها، وفى نفس الوقت أمر البنائين أن يضربوا اللبن وهو الطوب الذى سوف يستخدم فى بناء حوائط

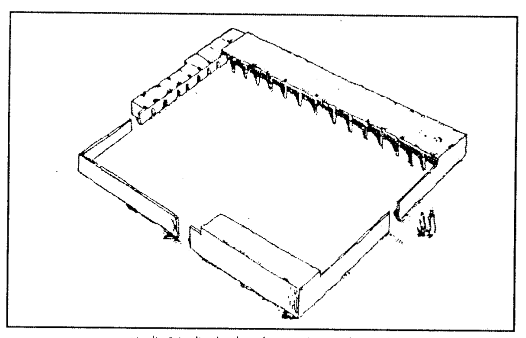
المسجد، وبذلك نجده لم ينتظر حتى يتم إعداد الأرض ثم يأمر بتجهيز الطوب والذى يحتاج لبعض الوقت ليجف ويصبح صالحاً للبناء. وكل ذلك من أجل كسب الوقت.

وهذا هو نفس الأسلوب المتبع فى عصرنا الحديث عند وضع الجداول الزمنية لتنفيذ عناصر المشروع المختلفة حيث يمكن عمل مرحلتين أو أكثر فى وقت واحد إن أمكن ذلك أو أن يشتركا فى جزء من الوقت مما يوفر فى المدة الإجمالية لتنفيذ المشروع.

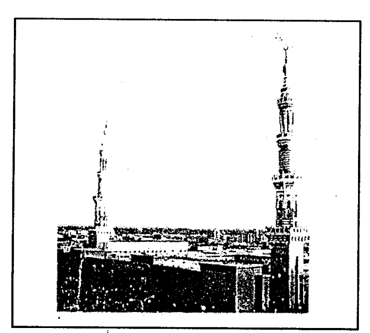
ودرس آخر يعطيه لنا رسولنا الكريم وصحابته وهم يشاركون بأنفسهم فى بناء المسجد باستخدام المواد المتوافرة فى بيئة المدينة المنورة فاللبن للحوائط وجذوع النخيل كأعمدة والإذخر وهو ورق نبات معين إلى جانب جريد النخيل فى تسقيف المسجد مما يعطى درساً هاماً فى أهمية استعمال مواد البيئة والمشاركة الشعبية فى بناء المشروعات فى البيئات الفقيرة كما فعل الصحابة ورسولنا الكريم حيث شاركوا فى بناء المسجد بأيديهم.

وقد أعطى السمهودى وصفاً لطريقة بناء الطوب فى حوائط المسجد فقال «بناه (أى الرسول الكريم) لبنة على لبنة، ولما كثر المسلمون بناه بالسعيدة لبنة ونصف ثم بنى بالذكر والأنثى وهما لبنتان مختلفتان».

وبذلك نرى اختلاف أسلوب البناء لما كثر عدد المسلمين، وتمت زيادة مساحة المسجد، مما يدل على أهمية تطويع أسلوب البناء ليخدم وظيفة المسجد أو أى مبنى، فكلما كثر عدد المستعملين زاد الاهتمام بمتانة البناء.



المسجد النبوى على عهد الرسول عليه الصلاة والسلام



جانب من المسجد النبوى حديثاً

وقد كانت حوائط المسجد كلها من الطوب اللبن، ما عدا حائط القبلة والذى كان متجهاً فى أول الأمر إلى المسجد الأقصى فقد جعله الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام من جذوع النخل، وذلك تمييزاً له عن باقى حوائط المسجد لأهميته فى تحديد اتجاه القبلة، وبعد أن أتى وحى السماء بتحويل القبلة جهة مكة جعل الرسول الكريم حائط القبلة من الحجارة مع بقاء باقى حوائط المسجد بالطوب اللبن، وذلك ليؤكد لنا على أن الأساس فى حائط القبلة أن يكون مميزاً عن باقى حوائط المسجد لسهولة معرفة اتجاه القبلة لمن يصلى بالمسجد.

كما أنه لا يفوتنا المدلولات الرمزية فى المواد التى استخدمت فى حائط القبلة حيث استعمل الرسول الكريم جذوع النخل قبل تحويل القبلة وهى مادة لا تتصف بالصلابة والثبات فى المظهر، وذلك لشعور النبى الكريم عليه الصلاة والسلام بأن اتجاه المسلمين للصلاة جهة بيت المقدس سوف يتغير ورغبته فى قبلة أخرى خاصة بالمسلمين.

أما بعد تحويل القبلة جهة مكة فقد استعمل الحجر فى بناء حائط القبلة وهى مادة تتميز بالصلابة وثبات المظهر وكأنه أراد أن يؤكد على أن توجه المسلمين فى الصلاة جهة مكة أمر ثابت ولن يتغير إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

إن الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام أعطى لنا بفعله فى حائط القبلة قبل أو بعد تحويل القبلة النموذج والأسلوب الأمثل

لتصميم حائط القبلة بالمساجد، وذلك بتمييزه عن باقى حوائط المسجد سواء كان ذلك باستخدام مادة مخالفة أو لون آخر.

كما يعطينا رسولنا الكريم درساً آخر فى عمارة المساجد ويتضح ذلك عند إقراره لفعل «تميم الدارى» والذى حمل معه من الشام إلى المسجد بالمدينة المنورة قناديل وزيتاً لتستعمل فى إنارة المسجد ليلاً حيث قال له الرسول عليه الصلاة والسلام عند دخوله المسجد ليلاً ورآه يتلألأ بنور هذه القناديل: «نورت الإسلام نور الله عليك فى الدنيا والآخرة» وبذلك فإن الرسول عليه الصلاة والسلام يشجع أى عنصر معمارى جديد يمكن أن يضاف إلى المسجد ويسهل من أداء وظيفته والتيسير على مستخدميه من المصلين.

هذه هى بعض المفاهيم والدروس - وغيرها كثير - المستوحاة من عمارة المسجد النبوى وهى توضح أن رسولنا الكريم عليه أفضل الصلوات والتسليم هو المعلم الأول للمسلمين فى جميع المجالات الدينية والدنيوية أيضاً، ويعطيهم النموذج والأساس ويترك لهم الابتكار والإبداع حسب الزمان والمكان، وبذلك يبقى عليه الصلاة والسلام السراج المنير لكل المسلمين على مر العصور.

وقد صدق الله العظيم حيث يقول: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ﴾[الأحزاب: ٢١].

كيف تبنى مسجداً[1] ؟!

إذا سألت أحداً عن الشروط والمواصفات التى ينبغى أن تراعى عند تصميم أو بناء مسجد، سوف تصدم بإجابات إن دلت على شىء .. فهى تدل على أن الكثيرين لا يلتزمون فى تصميمهم للمساجد بالمنهج الإسلامى الذي حدده كتاب الله وبيَّنته سنة نبيه ﷺ .. فهناك من يبنى مسجده فى المقابر أو على أرض مغتصبة، وهناك من يبالغون في زخرفة المسجد. أو ينفقون مئات الآلاف لرفع المآذن عالياً، ومنهم من يرفع المنابر والأعمدة لتقطع صفوف المصلين.

ومنذ أيام قليلة مضت نظمت كلية العمارة والتخطيط بجامعة الملك سعود ندوة عالمية لعمارة المساجد احتفالاً بمرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية، اشترك فيها الباحث المهندس يحيى وزيرى ببحث قيم عن تأثير المنهج الإسلامى على عمارة المساجد بدأه بتعريف لمفهوم المسجد فى الإسلام قال فيه:

هو مساحة من الأرض صغيرة أو كبيرة، تنظف وتسوى وتطهر ثم يعين فيها اتجاه القبلة وتخصص للصلاة، وقد تسور هذه المساحات أو لا تسور، وقد تفرش بالحصى أو الحصر النظيفة أو البسط الغالية وقد تقام فوقها مبان ضخمة ذات جدران وسقوف وقباب ومآذن وقد لا يقام من ذلك شىء فلا يغير ذلك من الأمر شيئاً ويظل المسجد البسيط العادى مكاناً مقدساً واضح الشخصية لا يقل فى هيبته أو مكانته عن أضخم المساجد.

(١) حوار أجرته الأستاذة/ ألفت الخشاب مع المؤلف بجريدة الأخبار.

● أسأله : ما هى أسس اختيار مكان المسجد ؟

المسجد شرعاً المكان المخصص للصلاة ، فإذا تم تخصيص مكان للمسجد فيجب ألا يزاول فيه أى نشاط إلا الصلاة وعبادة الله ومنع غير ذلك من حركات الحياة الدنيوية ، وهناك بعض القيود على هذا الاختيار ، منها أن يراعى طهارة المكان الحسية والمعنوية أيضاً فيجب ألا تبنى المساجد على القبور أو توضع فيها قبور حيث ورد النهى الصريح من الرسول الكريم عن فعل ذلك ، كما يجب ألا تبنى على أرض مغتصبة أو بغير إذن صاحبها فالله طيب لا يقبل إلا طيباً ، ولنا فى فعل رسولنا الكريم الأسوة الحسنة فحينما بركت ناقته عند موضع مسجده بالمدينة المنورة وكان حينئذ مربداً للتمر لغلامين يتيمين من الأنصار وكانا فى حجر أسعد بن زرارة ثامنهما رسول الله عليه الصلاة والسلام فيه ، فقالا : «بل نهبه لك يا رسول الله» فأبى حتى ابتاعه منهما بعشرة دنانير .

● هذا عن شرط الطهارة ، فما هى شروط العمارة ؟

روى ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : «البيت قبلة لأهل المسجد ، والمسجد قبلة لأهل الحرم ، والحرم قبلة لأهل الأرض فى مشارقها ومغاربها من أمتى» (من كتاب تفسير القرطبى) .

والشاهد من الحديث أن البيت أى الكعبة المكرمة هى قبلة لأهل المسجد وذلك لأن استقبال عين الكعبة - لا جهتها - شرط لصحة

الصلاة داخل المسجد الحرام وذلك لمن يراها، ومن هنا نجد أن الشكل الدائرى أو المثمن بحيث تكون الكعبة المكرمة فى مركز هذا الشكل هو الشكل الأمثل للمسقط الأفقى للمسجد الحرام حيث يتيح للمصلين استقبال عين الكعبة بسهولة ويسر.

أما بالنسبة للمساجد الأخرى - حتى ما كان منها داخل مكة - فإن اتجاه صفوف المصلين ينبغى أن تكون موازية لحائط القبلة والذى يتعامد بدوره على جهة مكة المكرمة حيث المسجد الحرام، لذلك فإن المسقط الأفقى المستطيل حيث حائط القبلة يمثله الضلع الأكبر لهذا المستطيل هو أنسب المساقط للمسجد فى أى بقعة من بقاع الأرض، وخاصة أنه يتيح استطالة الصفوف الأولى للمصلين، وذلك نظراً لأفضلية الصفوف الأولى عن التى تليها فى الثواب.

● ما هو الشكل الأمثل لتصميم القبلة والذى يتفق مع المنهج الإسلامى؟!

يتضح هذا الشكل من فعل الرسول عليه الصلاة والسلام عند بنائه لمسجده بالمدينة المنورة، حيث إن بعض الروايات أوضحت أنه قبل تحويل القبلة كان حائط القبلة من جذوع النخل وباقى حوائط المسجد من الطوب اللبن، أما بعد تحويل القبلة جهة مكة المكرمة فقد أصبح حائط القبلة من الحجر المنضود دون سائر حوائط المسجد المبنية بالطوب اللبن، وعلى ذلك يمكن أن نستلهم أن الأساس المعمارى لمعرفة اتجاه القبلة يكون بتمييز حائط القبلة بمادة معمارية مخالفة لباقى حوائط المسجد.

وقد كره بعض الفقهاء استعمال المحراب المجوف بالمساجد حيث إنه فيه تشبه بأهل الكتاب، فقد روى البيهقي من حديث ابن عمر قال: «إنما كانت للكنائس فلا تشبهوا بأهل الكتاب».

● تأخذ المنابر فى كثير من المساجد الشكل الطولى الذى يقطع صفوف المصلين، فهل هذا الشكل يتفق مع المنهج الإسلامى؟

لا يتفق، فكلما قل ارتفاع المنبر زاد عدد المصلين الذين يشاهدون الخطيب مما يزيد من تفاعل وارتباط الإمام بالمأمومين والعكس، وقد اتخذ الرسول ﷺ منبراً من خشب عبارة عن درجتين خشبيتين ودرجة ثالثة للجلوس، ولذلك فبعد الدراسة والتحليل ينصح باستخدام المنابر التى لا يتجاوز ارتفاع البسطة التى يقف عليها الخطيب عن مستوى خط البصر إلى ما يعادل حوالى ٨٠ سم.

وفى بعض المساجد المعاصرة وضعت عدة حلول يمكن الأخذ بما يصلح منها حسب طبيعة التصميم ومتطلباته منها:

- عمل منبر ذى سلم تبادلى للتقليل من بروزه عن حائط القبلة إلى النصف.
- إدخال سلم المنبر خلف محراب القبلة فى التصميم المعمارى فى وحدة تجمع بين غرفة المصاحف وخلوة الإمام.
- عمل سلم متحرك يمكن أن يطوى أو يتحرك على عجل بحيث يمكن وضعه وقت الخطبة وتحريكه وقت الصلاة.

● هل هناك منهيات ينبغى أن نلتزم بها عند بناء المساجد؟

نعم، منها بناء الأعمدة التى تقطع صفوف المصلين، فقد روى عن أنس رضى الله عنه أنه قال: كنا ننهى عن الصلاة بين السوارى

ونُطرد عنها . . وسبب كراهية الصلاة بين السوارى أنها مصلى الجن المؤمنين، لذلك يفضل تقليل عدد الأعمدة فى قاعة الصلاة حتى لا تقطع صفوف المصلين أو تعوق رؤية الخطيب على المنبر، وفى حالة توافر الإمكانات المادية فيستحسن وجود فراغ معمارى واحد لقاعة الصلاة بدون أعمدة.

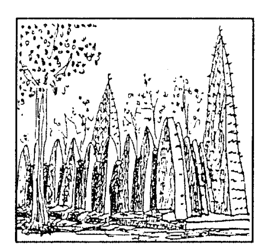
ويضيف المهندس يحيى وزيرى: ومن المنهيات أيضاً المبالغة فى زخرفة المساجد.

وللعلماء فى ذلك نظرتان كلتاهما نظرة مخلصة لدين الله، فالرأى الأول يريد أن تظل للمساجد بساطتها وفطريتها فيرى ألا يشغل الموجودِ فى المسجد بأى منظر آخر يخرجه من خلوته مع ربه ويستند أيضاً إلى بعض الأحاديث الشريفة منها:

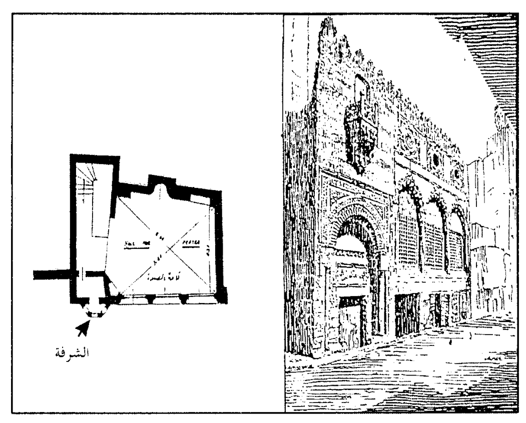
● «ما أمرت بتشييد المساجد» أى رفع البناء بالشيد والجص، وقال ابن عباس راوى الحديث: «لتزخرفنها كما زخرفت اليهود والنصارى» وليس معنى الحديث عدم الاهتمام بمتانة البناء بل المراد به البساطة وعدم الزخرفة.

أما الرأى الثانى فيرى أنه لا يصح أن يكون بيت الله، وهو منسوب إليه، دون بيوت الناس عناية واهتماماً وتشييداً وزخرفة ويستندون فى ذلك إلى أن الزخرفة ليست لوناً من الترف إذا كان يتسع له مال المسلمين.

ويرى الشيخ الشعراوى رحمه الله: «أن ذلك أمر اعتبارى بمعنى أنه إذا كنا فى بيئات لها مظاهر من الكنائس والمعابد فلا يصح أن تكون بيوت عبادتنا وهى بيوت الله دونها إلا فيما يصطدم مع



المسجد الكبير فى «بوبو ديلاسو» بفولتا العليا
(ارتباط المسجد بالبيئة)



زاوية عبدالرحمن كتخدا بالمغربلين
واستخدام الشرفة كبديل للمئذنة

قاعدة من قواعد الدين كوجود التصاوير والتماثيل .. والعناية بالشيء لا تعنى فسوق زخرفته، فمن الممكن أن تكون عناية تتمثل فى وقار الزخارف وفى وقار التجميل وورع الفن».

ويضيف المهندس وزيرى: وأرى أن عملية بناء المساجد ترتبط ارتباطاً مباشراً بالمجتمع أو البيئة التى تبنى فيها، ففى البيئات التى تتوافر فيها الإمكانات المادية فلا مانع من تشييد المساجد والاهتمام بتشطيبها ولكن دون بذخ أو خروج عن قواعد الدين.

أما فى البيئات الفقيرة حيث تجمع التبرعات المادية لبناء المساجد فلا يصح أن يخرج بناء المساجد عن عناصره الأساسية حيث إن الظروف المادية لا تسمح بذلك، ولكن يجب أن يراعى الإتقان فى بناء المسجد مع استخدام مواد البيئة المتوفرة محلياً بأبسط طرق الإنشاء مما يقلل التكاليف ومن هنا يتجلى أهمية ارتباط المسجد بالبيئة وبالمجتمع المحلى الذى يبنى فيه.

ومن المنهيات أيضاً كما جاء فى بحث المهندس يحيى وزيرى اتخاذ المقاصير فى المساجد، حيث يقول أبو العباس القرطبى في شرح «مسلم» لا يجوز اتخاذها ولا يصلى فيها لتفريقها الصفوف وحيلولتها من التمكن من المشاهدة، وهذا الرأى مبنى على أن المقصورة تقطع الصفوف وفيه ما سبق فى المنبر، كما قال الإمام ابن الحاج: المقاصير والدرابزين (القواطيع) من البدع المحدثة، وقد ترتب على ذلك جملة مفاسد.. أولها: أن الموضع وقف للصلاة وما فعل فيه لغيرها غصب لمواضع صلاة المسلمين. وثانيهما: أن فيه تقطيع الصفوف وذلك خلاف السنة.

أما بالنسبة لمقاصير النساء، فيرى بعض الفقهاء أنها مستحسنة لأنها تحمى النساء من أنظار الرجال، وعلى ذلك فيمكن تحديد أماكن لصلاة النساء إذا كن يصلين مع الرجال فى نفس قاعة الصلاة بمقاصير أو قواطيع بحيث تكون فى آخر القاعة حتى لا تقطع الصفوف، ويفضل فصلهن فى دور مسروق يتصل فراغيا بقاعة صلاة الرجال.

● قلت فى بحثك أن المآذن ليست من السنة فكيف ذلك؟

لم تستخدم المآذن فى صدر الإسلام حيث لم تظهر فى عهد النبى ﷺ ولا فى عهد الخلفاء الراشدين وتم إدخالها فى عهد عمر بن عبد العزيز حيث تم بناء أربع مآذن فى كل ركن من أركان المسجد مئذنة وذلك سنة ٩٢هـ.

ويقول الشيخ ناصر الدين الألبانى: «إن المنارة المعروفة اليوم ليست من السنة فى شىء، غير أن المعنى المقصود منها وهو التبليغ أمر مشروع بلا ريب فإذا كان التبليغ لا يحصل إلا بها فهى مشروعة، غير أن من رأيى أن وجود الآلات المكبرة للصوت تغنى عن اتخاذ المئذنة كأداة للتبليغ لا سيما وهى تكلف الألوف المؤلفة من الليرات».

ومن الحلول البسيطة التى استعملت بالفعل قديماً وحديثاً أن يتم تصميم المئذنة بشكل رمزى بسيط بأن تكون على هيئة شرفة تخرج ببروز صغير من سطح المسجد كما فى زاوية «عبد الرحمن كتخدا» بمنطقة المغربلين بالقاهرة القديمة والتى تم تجديدها حديثاً وقد تم اقتباس هذه الفكرة فى أحد مساجد العصر الحديث بالجيزة وهو مسجد «أحمد زكى باشا».

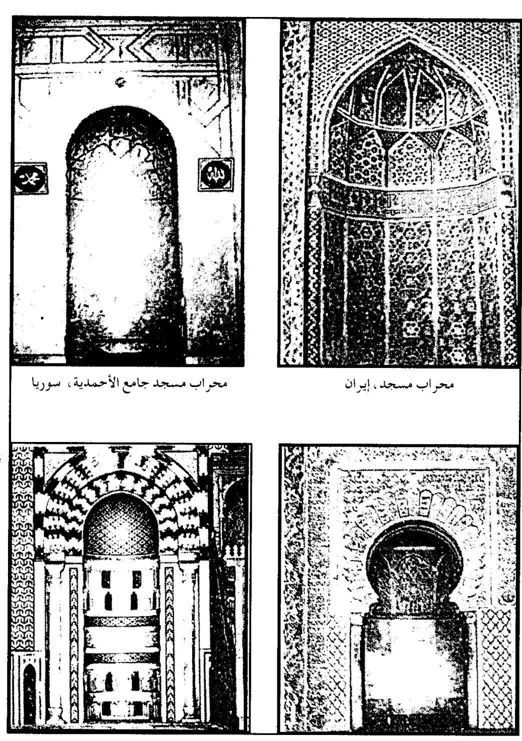
لماذا تتعدد المحاريب فى بعض المساجد؟

تميزت العمارة الإسلامية فى المساجد بعناصر فريدة، اكتسبت خصوصيتها من الروح الإسلامية التى أبدعت فى كل بلد دخله الإسلام.

وقد اخترت عنصرين متميزين من أهم العناصر المعمارية الإسلامية فى المساجد، وهما المحراب والمنبر، باعتبار أن العلاقة بينهما وثيقة ومترابطة واستحباب أن يكون المنبر على يسار المحراب تلقاء يمين المصلى إذا استقبل القبلة.

ويقصد بقبلة المسجد أى الجدار الذى يقوم فيه المحراب والذى يتجه إلى مكة أما المحراب فهو الحنية أو التجويف فى جدار القبلة. ويرجح أن أول استعمال للمحاريب المجوفة كان على عهد عمر بن عبد العزيز عند تجديد عمارة المسجد النبوى والتى تمت فى سنة ٩١هـ أيام ولايته على المدينة المنورة.

والمحاريب نوعان: مسطحة أو مجوفة، ومن أمثلة المحاريب المسطحة محراب قبة الصخرة المسطح فى المغارة تحت الصخرة. أما المحاريب المجوفة فمنها ما هو ذو تجويف نصف دائرى ومن أقدم أمثلته فى مصر محراب جامع "ابن طولون" ومنها ما هو ذو تجويف قائم الزوايا، ومنها محاريب مجوفة كثيرة الأضلاع، ومن المحاريب الخشبية ما هو ثابت فى جدار القبلة كالمحراب الخشبى الذى كان يغطى واجهة محراب "جوهر الصقلى" ومن المحاريب الخشبية ما هو



محراب مسجد ، إيران

محراب مسجد جامع الأحمدية ، سوريا

محراب مسجد مدرسة ابن يوسف ويمتاز بزخارفه الجصية

محراب مسجد الناصر محمد بن قلاوون فى القاهرة من الرخام المعشق ذى الألوان المختلفة

متنقل كمحراب مسجد السيدة رقية من العصر الفاطمى أيضا وموجود الآن فى متحف الفن الإسلامى بالقاهرة .

ويلاحظ أنه قد تتعدد المحاريب فى جدار القبلة فى بعض المساجد ويرجع البعض سبب ذلك إلى أن يكون تأكيداً لاتجاه القبلة ، أو أن كل محراب ربما كان مخصصاً لمذهب من المذاهب الأربعة المعروفة أو ربما كان ذلك للزينة ، ويجدر بالذكر هنا بأن الآيات القرآنية الخمس التى ورد فيها لفظة «محراب» لم تكن تعنى حين نزولها من الناحية اللغوية ما هو متعارف عليه الآن ، حيث تستخدم هذه اللفظة الآن للدلالة على أحد عناصر المسجد المعمارية .

ولقد اختلفت آراء العلماء ما بين مؤيد ومعارض لوجود المحراب المجوف فى المساجد وبالرغم من هذا الاختلاف فإن المحراب كعنصر معمارى مميز لعمارة المسجد يعتبر محطة رئيسية فى طريق الحضارة المعمارية بشكل عام والفن الإسلامى بشكل خاص .

جاء فى سنن البيهقى ما رواه بسنده عن عبد الله بن عمر قال : إن تميماً الدارى قال لرسول الله عليه الصلاة والسلام لما أسن وأثقل : ألا نتخذ لك منبراً يحمل أو يجمع عظامك أو «كلمة تشبهها» فوافقه الرسول على ذلك فصنع «تميم» المنبر من خشب من طرفاء الغابة ، وهو خشب قوى الاحتمال طويل العمر وكان عبارة عن درجتين حشبيتين ودرجة ثالثة للجلوس ، وبذلك جاء المنبر النبوى بسيطاً فى شكله متيناً فى صناعته ، منطقياً فى وظيفته .

وفى العصور التالية تطور شكل المنبر بحيث أصبح عبارة عن جانبين على شكل مثلث جهتى الدرج الصاعد إلى أعلى المنبر حيث الجلسة المعدَّة للخطيب، وقد يكون المنبر متحركاً حيث يحفظ فى غرفة تقع خلف حائط القبلة كى لا يعترض صفوف المصلين فى الأوقات التى لا يستخدم فيها .

ومنها المنابر الخشبية والرخامية والحجرية، فالمنابر الخشبية تتكون كل أجزائها من الخشب وأقدم منبر خشبى باق فى العالم العربى هو منبر جامع القيروان بتونس، أما المنابر الرخامية فهى التى بنيت وكسيت بالرخام، وأقدم ما عرف منها فى مصر وجدت بعض أجزائه فى مسجد الخطيرى وهى محفوظة بالمتحف الإسلامى، ومن أمثلته المشهورة أيضاً منبر مدرسة السلطان حسن وكلاهما من العصر المملوكى البحرى، أما بالنسبة للمنابر الحجرية فقد وجد مثالان فقط منها يماثلان فى زخرفتهما المنابر الخشبية حيث يوجد الأول فى خانقاه فرج بن برقوق، والآخر فى مسجد شيخون بالقاهرة .

اعتمدت العمارة الإسلامية على مجموعة من العناصر المعمارية التى أكدت تميزها وخصوصيتها، ولعب الإبداع الإسلامى دوره فى الإضافة والتجويد حتى تعددت الأشكال والطرز والمسميات على مختلف العصور، وقد اخترت عنصرين أساسيين من عناصر العمارة الإسلامية هما الأعمدة والعقود.

والعمود هو ما يدعم به السقف أو الجدار، ولقد أخذ العمود تسميات عدة فهو : عمود فى المشرق، وسارية فى المغرب، وشمعة فى لبنان، وأسطوان أو أسطوانة على لسان بعض الكتاب.

وفى العصور الإسلامية المبكرة استعملت جذوع النخيل كأعمدة كما فى المسجد النبوى، وبعد ذلك لجأ المسلمون إلى استعمال الأعمدة اليونانية والرومانية والبيزنطية المجلوبة من المبانى السابقة ثم ما لبث أن اعتمد البناء الإسلامى على أعمدة ذات تصميمات نابعة من الفن الإسلامى نفسه وبذلك تنوعت أشكال الأعمدة الإسلامية ما بين الشكل الدائرى والمثمن والمستطيل.

كما عرفت العمارة الإسلامية الأعمدة على شكل نصف دائرة أو ثلاثة أرباع دائرة وألصقت بالجدران للتدعيم حيناً وللزخرفة فى أغلب الأحيان الأخرى خاصة عند استعمالها على جانبى الأبواب والمداخل وفى أركان قوصرة المحراب.

والعمود من الناحية المعمارية يتكون من ثلاثة أجزاء رئيسية

وهي : القاعدة ثم البدن ثم التاج ، وفي مصر تم استعمال التاج الناقوس والتاج المقرنص ، كما شاع استعمال التيجان والقواعد الناقوسية في العصر المملوكي الجركسي .

أما التاج المقرنص فقد استعمل في العمارة السلجوقية كما نجد مثالاً له في الأعمدة على جانبي قوصرة مدخل مدرسة السلطان حسن بالقاهرة .

أما العقد فهو عنصر معماري مقوس يعتمد على نقطة ارتكاز واحدة أو أكثر ، ويشكل عادة فتحات البناء أو يحيط بها .

ويتألف العقد من عدة حجارة كل واحد تسمى فقرة أو صنجة وفي العهد الأيوبي ظهرت الصنجات المزررة ملونة بالتناوب ، وهي عبارة عن حجارة مقصقصة الأطراف متداخلة فيما بينها .

ولقد استعملت العقود في العمارة الإسلامية بأشكال مختلفة فالعقد الدائري استعمل مثلاً في قصر الحير الشرقي في العصر الأموي كما شاع استعماله في عمارة العصر العثماني بمصر كما في مسجد محمد علي بالقلعة .

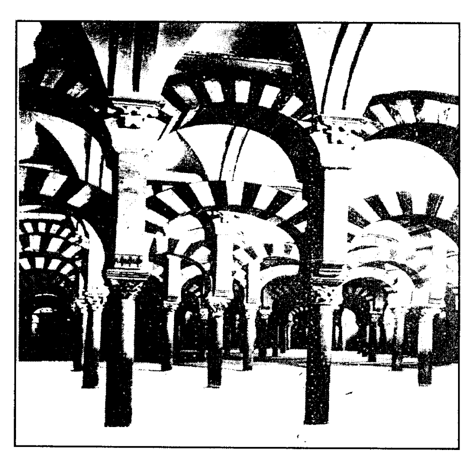
أما العقد المدبب سواء كان بمركزين أو بأربعة مراكز أو الذي ينتهي بخط مستقيم فقد استعمل بكثرة في عقود الشبابيك والأبواب وأيضاً في المحاريب .

أما العمارة المغربية والأندلسية فلقد تبنت عقد حدوة الفرس وما لبثت أن ظهرت في «بطنه» ومختلف أجزائه المقرنصات الحجرية والجصية وخاصة في قصر الحمراء بالأندلس .

كما اهتم المغاربة بالعقد المفصص وهو يتألف من دوائر تلتف

على بطن العقد وقد يكون ثلاثي الفصوص فقط كما فى مدخل مدرسة السلطان حسن بمصر .

أما عقد التخفيف فهو عبارة عن جزء من دائرة «موتور» ويعمل على نقل الأحمال بعيداً عن الأعتاب حرصاً على سلامتها ، ونجد مثالاً له فى باب النصر بالقاهرة وواجهة مسجد الصالح طلائع .



العقود بداخل مسجد قرطبة

جاءت المآذن والقباب فى مقدمة العناصر المعمارية الإسلامية . . وقد تفنن المبدعون المسلمون فى إضافة وتجسيد سمات الجمال والرشاقة لمآذنهم وقبابهم .

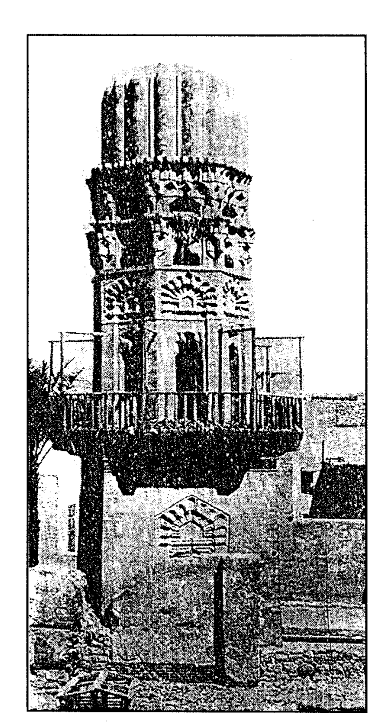
ويأتى عنصرا المآذن والقباب ضمن منظومة العناصر التى تميزت بها العمارة الإسلامية ، فكل يوم يتردد من فوقها ومن تحتها أذان الصلاة والنداء للمسلمين خمس مرات كل يوم .

أطلق لفظ المنارة على المآذن حيث كانت تضاء بالأنوار عند الغروب فى رمضان وتظل مضاءة حتى طلوع الفجر ثم تطفأ إيذاناً ببدء يوم جديد من أيام الصيام .

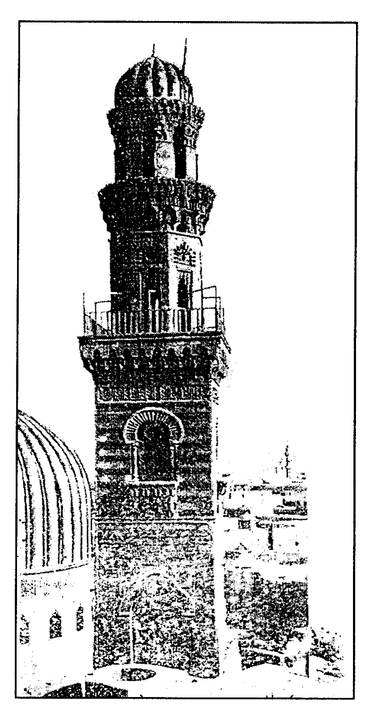
أما فى بلاد المغرب العربى والأندلس فيطلق على المآذن لفظ الصوامع ، ويرجع ذلك إلى أن أغلب مآذن المغرب الإسلامى ذات شكل مربع وهو يشبه أبراج الصوامع .

ولقد دخلت المئذنة متأخرة على بناء المساجد ويعتقد أن أولاها تلك التى بناها زياد بن أبيه بالحجارة فى مسجد البصرة عند تجديده سنة ٤٥هـ، تلا ذلك بناء أربع صوامع فى أركان جامع عمرو بن العاص سنة ٥٣هـ.

أما أقدم مئذنة فى العالم الإسلامى وما زالت محتفظة بشكلها الأول بالرغم من التعديلات التى طرأ عليها فقد أقامها عقبة بن نافع ما بين سنتى ٥٠ و٥٥هـ بمسجد القيروان وهي تعد نموذجاً لمآذن مساجد المغرب العربى والأندلس .



مئذنة المدرسة الصالحية على هيئة المبخرة
من العصر الأيوبى



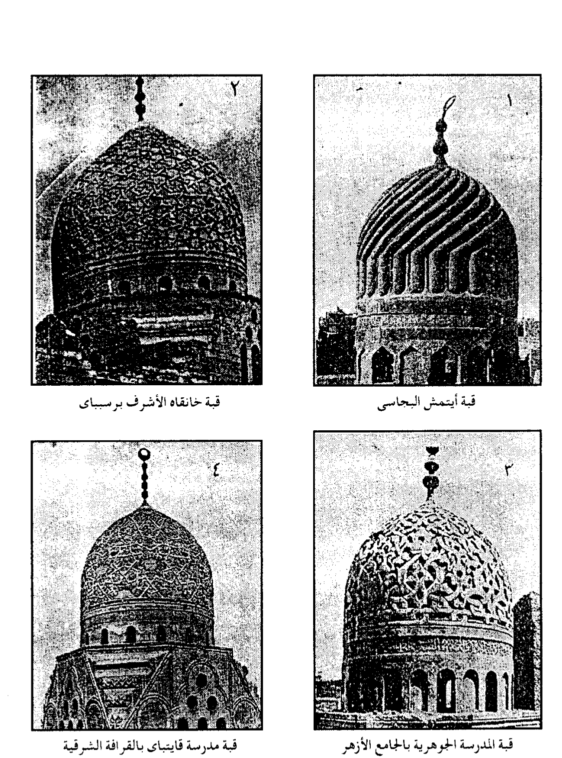
منارة خانقاه سلار وسنجر الجاولى بالقاهرة
من العصر المملوكى

أما في العراق وبلاد فارس فقد أخذت المآذن شكلاً أسطوانياً وأحياناً ملوياً يدور السلم من خارج بدنها كما في مسجدى سامراء وأبى دلف بالعراق وقد اقتبس أحمد بن طولون نفس فكرة ملوية مسجد سامراء حين بنى مئذنة مسجده المعروف بالقاهرة والتى تعد أقدم مآذن القاهرة من حيث احتفاظها بشكلها الأول، ولقد تطور شكل المآذن بمصر خاصة في العصر المملوكى حيث أصبحت تبدأ بقاعدة مربعة يعلوها قسم مثمن ثم قسم دائرى منتهية برأس أو رأسين أحياناً يعلوهما منجرة أو الجوسق.

أما المآذن التركية العثمانية فلقد امتازت بالجمال والرشاقة مع استقامتها ونهايتها المخروطية على شكل القلم الرصاص المبرى ولقد شيدت على مثالها مئذنة جامع محمد على بالقاهرة وغيرها من المآذن.

أما القبة فهى بناء دائرى المسقط مقعر من الداخل مقبب من الخارج، والقبة هى أحد الأشكال الخاصة التى استخدمت في تغطية أسقف كثير من المبانى على مر العصور، ويرجح أن القباب الأولى نشأت في بلاد ما بين النهرين والشرق الأدنى، كما أن العمارة الرومانية والبيزنطية عرفت القباب واستعملتها في المبانى.

أما في العمارة الإسلامية فكان لاستخدام القباب رؤية خاصة فهى لم تكن حلاً بيئياً ومناخياً أو إنشائياً ووظيفياً فقط، بل وأيضاً رمزاً روحانياً يرمز إلى السماء خاصة في المناطق المسقوفة في المسجد حيث تعتبر صورة مصغرة لما كان يراه العربى في صحرائه من اتساع الأفق واستدارة السماء من فوقه، ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ



قبة أيتمش البجاسى

قبة خانقاه الأشرف برسباى

قبة المدرسة الجوهرية بالجامع الأزهر

قبة مدرسة قايتباى بالقرافة الشرقية

(أربع صور تمثل قباب مختلفة من حيث تصميمها وزخارفها)

بغير عمد ترونها﴾ [الرعد : ٢] ونتيجة الرؤية الإسلامية للقبة فلقد جاءت استعمالاتها مميزة وفريدة عما سبقها من قباب الحضارات السابقة، وتعتبر قبة الصخرة ببيت المقدس والتى شيدت سنة ٧٢هـ، أقدم مثال للقبة فى تاريخ العمارة الإسلامية.

أما أول استخدام حقيقى للقبة فى المسجد فكان أمام وأعلى المحاريب تأكيداً على مكانها وأهميتها كما فى الجامع الأموى بدمشق وجامعى الأزهر والحاكم بالقاهرة وغيرها من المساجد.

ولقد تنوعت أشكال القباب وزخارفها فكان منها الشكل الكروى والبيضاوى والبصلى والهرمى والمضلع ومن أشهرها وأجملها زخرفة خارجية لقُبَتى ضريحى قايتباى وبرسباى بالقاهرة.

ولقد استخدمت عدة أساليب إنشائية للانتقال من المسقط المربع إلى مسقط دائرى يحمل فوق القبة حيث استخدمت المحاريب الركنية أو المثلثات الكروية أو المقرنصات والتى تعتبر من الابتكارات المعمارية الإسلامية أو باستخدام المحاريب الركنية والمقرنصات معاً.

الفصل السابع

اتجاهات معمارية عالمية

قد يعتقد البعض أن الدعوة التى ينادى بها كثير من المعماريين أو المثقفين لأن يكون للعمارة المصرية والعربية طابع مميز يعبر عن الهوية المحلية كما يمكنه فى نفس الوقت الرد على مشاكل و هموم هذه المجتمعات أنها دعوة للانعزالية عن الفكر أو الاتجاهات المعمارية فى الفن والعمارة ، وهو اعتقاد خاطئ من الناحية النظرية حيث إن التفكير الصحيح يملى علينا أن نطلع دائماً على أحدث ما وصل إليه الفكر المعمارى العالمى لنرى كيف يمكن الاستفادة منه ، كما أنه من الناحية العملية لا يمكننا الانعزال عن العالم نظراً للتزايد الرهيب فى ثورة الاتصالات الهائلة وسهولة تدفق المعلومات من مكان لآخر .

إن المجتمع المصرى والعربى يتأثر بقوة كغيره من المجتمعات الأخرى بما يظهر من اتجاهات معمارية فى الغرب ، وقد ظهر ذلك جلياً فى القرن العشرين خاصة بعد ظهور عمارة "الحداثة" والذى كان أحد روافدها الرئيسية ما سمى " بالطراز الدولى للعمارة " وكان يهدف إلى توحيد الفكر المعمارى وأشكال وطرق البناء فى جميع أنحاء العالم ، وقد سيطر هذا الفكر لسنين طويلة ، وكان من نتائجه الأبراج الزجاجية وناطحات السحاب والتى يمكن رؤيتها فى كل مدينة من مدن العالم .

ونتيجة للسلبيات العديدة لهذا الفكر بدأت تظهر اتجاهات أخرى مثل عمارة «ما بعد الحداثة» أو «العمارة الخضراء» وغيرها، وهي اتجاهات تحاول أن تقترب أكثر من الإنسان لتتواصل معه أو للتركيز على أهمية الحفاظ على البيئة والانسجام معها، ولكل اتجاه فكره وفلسفته وأنصاره .

ولكن تظل المعضلة الحقيقية التى تواجه المجتمعات المصرية والعربية ذات شقين رئيسين : أولهما يكمن فى كيفية مواجهة ما يمكن تسميته « بالإيدز الفكرى أو المعمارى » ، بمعنى أنه يجب أن تتمتع هذه المجتمعات بجهاز مناعى فكرى وثقافي قوى لا يمكن اختراقه بسهولة، وإلا كانت النتيجة المحتومة هى التدهور والاندثار ولو على المدى الطويل ، وثانيهما هو فى كيفية الانتقال من مرحلة التأثر إلى مرحلة المشاركة الإيجابية بالتأثير والمشاركة فى صنع وتشكيل الثقافة العالمية .

علينا ألا نتقوقع أو ننعزل بل نطلع ونحاول أن نفهم ونناقش الاتجاهات المعمارية العالمية، ولكن يجب علينا أيضاً ألا ندير ظهرنا لتراث الأجداد، بل يجب أن نتفاعل معه بأن نقتله بحثاً ودراسة لنستفيد من كنوزه وهى بلا شك كثيرة ، وهنا أتذكر القاعدة الشهيرة التى صاغها الشيخ أمين الخولى أحد رواد التجديد فى الفكر العربى المعاصر ألا وهى : « أن أول التجديد قتل القديم بحثاً وفهماً ودراسة » .

الحداثة وأخواتها

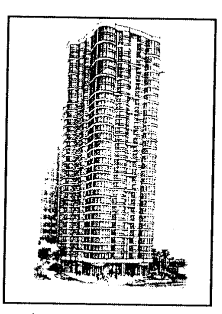
أدى ظهور الثورة الصناعية فى أوربا إلى حدوث انقلاب فى فكر وحياة البشر حيث بدأ عصر جديد تسيطر فيه الآلة على مختلف مجالات الحياة، ونتج عن ذلك تأثر الفكر المعمارى وبدأت تتبلور مع بدايات القرن العشرين ملامح عمارة الحداثة Modern Architecture والتى رفضت كل الأشكال والطرز الكلاسيكية السابقة، أى أنها تنكرت للماضى وأرادت أن تبتدع العمارة من الصفر.

وطغت فكرة «الوظيفية» على الفكر المعمارى ونشأ معظم المعماريين على المبدأ المعروف الذى نادى به المعمارى الأمريكى «لويس سوليفان» ألا وهو: «الشكل يتبع الوظيفة»، وتعلم المعماريون أن الأشكال تستنبط وتنبع من الوظائف، وتمثلوا برأى المعمارى الألمانى «ميس فان درروه» من أن الشكل ينتج عما نعمل، وليس هناك شكل بحد ذاته.

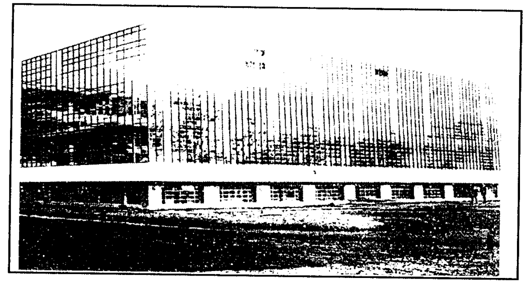
وقد رفضت عمارة الحداثة فكرة الطرز المعمارية حيث يقول المعمارى الألمانى «والتر جروبيوس» أحد قادة مدرسة الباوهاوس الألمانية لفن التصميم والذى يعد إلى جانب «ميس فان درروه» والمعمارى السويسرى الأصل «لى كوربوزييه» أحد أهم ثلاثة زعماء لعمارة الحداثة: «ليس هدفى أن أقدم طرازاً حديثاً، بل بالأحرى طريقة تمكننا من تناول أى مهمة على أساس من طبيعتها الخاصة»، وعلى ذلك فعمارة الحداثة كانت ترفض أن تكون هى نفسها طرازاً جديداً.

وطيلة الستين سنة الأولى من القرن العشرين كانت الحداثة هي الأسلوب المهيمن على الفكر المعماري، وكان جوهر هذا الفكر يتمثل فى أن المبانى ينبغى أن تعكس زمانها، و أن العصر الصناعى ينبغى أن يملك عمارة تناسبه أى تجريدية غير مزخرفة ووظيفية، ويعكس كلام «جروبيوس» جانباً من هذا الفكر حيث يقول: «لقد جرى قطع الصلة بالماضي بشكل يسمح لنا بتصور جديد للعمارة يتناسب مع الحضارة التكنيكية للعصر الذى نعيشه، لقد جرى تدمير كيان الأساليب الميتة ونحن عائدون الآن إلى إخلاص الفكر و المشاعر».

إن وجهة النظر السابقة والتى تعتبر الحداثة إنكاراً للماضى وجدت رد فعل مماثل ضدها خاصة مع ظهور الجوانب السلبية لهذه النظرة مع الوقت ، فقد رأى العديد من المعماريين والذين قد بدأوا يعبرون عن اتجاه جديد ظهر فى نهاية الستينيات سمى «بعمارة ما بعد الحداثة» أن التجريد الذى غلب على فكر عمارة الحداثة ليس غنياً بما يكفى ليستجيب لكل المتطلبات العاطفية للعمارة، كما أن الإخفاق الاجتماعى لهذا الاتجاه كان واضحاً حيث كان يقدم حلولاً تكنيكية واقتصادية للمشاكل الاجتماعية دون النظر للاعتبارات الجمالية أو البيئة اللهم إلا فى أعمال قليلة ظهرت فى تصميمات «لي كوربوزييه» وغيره كما أنها فشلت فى مجال الإسكان بالذات فى التواصل مع السكان وعدم احترامها للعوامل المحلية والخصوصية الثقافية التى تختلف من مكان لآخر، أى أنها أخفقت فى خلق علاقات حميمة مع الناس والمدن والتاريخ.



الأبراج الزجاجية العالية- النموذج الأساسي لفكر مدرسة الحداثة والتي تبنت فكرة الطراز الدولي للعمارة



مدرسة «الباوهاوس» الألمانية فى أوائل القرن العشرين، والمبنى يعبر عن فكر المدرسة الذى يعتمد على استخدام الزجاج والحديد، من هذه المدرسة انطلقت أفكار ومبادىء عمارة «الحداثة» فى القرن العشرين

لذلك يرى البعض أن عمارة «ما بعد الحداثة» نشأت كحركة فكرية فى العالم الغربى لمراجعة مفاهيم الحداثة والبحث فى حلول لمجابهة عدم قدرتها على الرد على احتياجات الإنسان ، فهي حركة تسعى لسعادة الإنسان كما تعبر عن ثقافته وخصوصيته، وفى نفس الوقت تعبر عن العصر ومعطياته العلمية والاقتصادية ، فهى تمثل الفكر المضاد لعمارة الحداثة والتى حولت البناء فى كل أرجاء العالم إلى شيء نمطى خاضع لقوى السوق والإنتاج الكمى .

وفى أعوام الثمانينات حصلت عمارة « ما بعد الحداثة» على القبول لدى الأوساط المهنية والأكاديمية فى المجتمع الغربى على نطاق واسع ، وأصبحت جزءاً من النظام المعمارى القائم مثل أختها الكبرى " الحداثة " وأختها المنافسة لها " الحداثة المتأخرة " ، وأصبح من الواضح أن مبانى معماريى " ما بعد الحداثة " تحمل دائماً تعبيرات أو شفرة مزدوجة الإيحاء من أجل التواصل مع مستخدمى هذه المبانى ، ويقوم هذا الازدواج على أساس : مهنى / شعبى، التكنيك الجديد / الأنماط القديمة، الصفوة / الجمهور.

ويفسر هذا الازدواج المتضاد بأن الكثير من معماريى ما بعد الحداثة كانوا قد عملوا وتدربوا على أيدي معماريى الحداثة فالتزموا باستخدام التكنيك المعاصر مع مواجهة الواقع الاجتماعي والثقافى الراهن، لذلك فإن لسان حال مبانيهم ربما يريد أن يقول : «نحن فى مثل جمال الأكروبوليس والبانثيون، ولكننا نعتمد أيضاً على التكنولوجيا»، فاللغة الهجين لعمارة ما بعد الحداثة أرادت أن تؤكد على أننا نعيش في عالم معقد حيث لا يمكن أن نتنكر للحاضر والواقع التكنيكى والاجتماعى، كما لا يمكن أن ندير ظهورنا للماضى والجمال التقليدى، بل هما وجهان لعملة واحدة.

وبالرغم من أن خيطاً ما مشتركاً يربط ما بين فكر «ما بعد الحداثة» و«الحداثة المتأخرة» فكلتاهما نابعتان من مدرسة الحداثة وما زالا يحملان بداخلهما آثار الطراز الدولى بصورة أو بأخرى، ولكن تظل الفروق الجوهرية بين الاتجاهين واضحة وحادة، فعمارة الحداثة المتأخرة تركز على جماليات اللغة المعمارية من خلال الإتقان التكنولوجي والمبالغة الشديدة فى تطبيق مفاهيم الحداثة مثل التركيز على النواحى الميكانيكية والتجريد والتأكيد على محاور الحركة، فإن عمارة ما بعد الحداثة ينصب اهتمامها على التعبيرات التاريخية واستخدام الرموز الشعبية، ومراعاة الذوق العام والتعبيرات المزدوجة التعبير بصفة عامة من أجل تحقيق مبدأ أساسى، وهو الوصول بالعمارة كفن اجتماعى إلى الناس ومن خلال هذا الهدف يمكن معالجة موضوعات الجمال والتكنولوجيا.

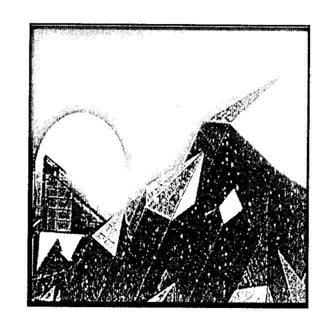
بدأت الحركة التفكيكية Deconstruction أولاً فى مجال الفلسفة وعلم الاجتماع والأدب وكتابة التاريخ ، وقد نشأت تلك الحركة أساساً من أعمال الفيلسوف الفرنسى «جاك دريدا» كأسلوب لتفكيك النصوص للتمكن من فهمها فهماً أكثر عمقاً ثم إعادة تركيبها مرة أخرى بأسلوب يؤدى إلى فهم النص برؤية جديدة.

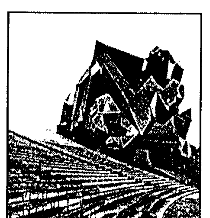
وقد قام المعماريان «برنارد تشومى» و«بيتر أيزنمان» بربط تلك الحركة وتطبيق مفاهيمها على فن العمارة، وأصبحت العمارة التفكيكية والتي ظهرت فى الأفق منذ عام ١٩٧٠ الاتجاه الأكاديمي الرسمى فى بعض أقسام العمارة والفن بالجامعات الأمريكية وكأحد الاتجاهات التى خرجت من تحت عباءة عمارة ما بعد الحداثة.

وقد اختلفت الآراء حول مفهوم وأهداف العمارة التفكيكية ، فالبعض فى بداية الأمر أخذ الترجمة الحرفية لكلمة Deconstruction على أنها تعنى «الهدمية» أو «التحطيمية» وهى ترجمة لا تعبر بدقة عن مفاهيم هذا الاتجاه كما سنرى فيما بعد.

أما البعض الآخر فيرى أنها رد فعل للاتجاه الإنشائى المنطقى structuralism والذى يجد المعنى والوحدة فى الانسجام فى العلاقات بين الأشياء لذلك أطلق البعض على هذا الاتجاه مسمى «العكاس الإنشائى» يقصدون بذلك أى عكس الإنشاء المنطقى المعروف والذى يحتوى على العمود والكمرة أو العناصر الإنشائية التقليدية المتعارف عليها .







لقطات مختلفة من منتزه «فوتورسكوب» بفرنسا
يتضح منه بعض مبادىء «العمارة التفكيكية» فى التصميم

أما المعماري المصري جمال بكري فيرى أن التفكيكية هي أحد الاتجاهات التي ظهرت للتمرد على القواعد الجامدة والقوالب التي صيغت فيها العمارة ، فبعد الحرب العالمية الثانية اصطدمت الحضارة الغربية بحضارات أخرى ونتج عن هذا الصدام ظهور فلسفات جديدة تدعو إلى تفكيك تلك القوالب والثوابت والتحرر منها ، وهو يرى أن الأشكال المستخدمة في العمارة التفكيكية ما هي إلا انعكاس لعلاقات الأجسام والأشكال في الطبيعة .

والعمارة التفكيكية في وجهة نظر الناقد «تشارلز جنكز» هي عمارة التكسير واللاتماثل و اللااتساق ، عمارة مليئة بالمفاجآت غير المتوقعة تستخدم مفردات العمارة الكلاسيكية بصورة معكوسة أو مشوهة ، عمارة كلاسيكية وضد الكلاسيكية في آن واحد .

وبالرغم من اتفاق معماريي الحركة التفكيكية على هدف أساسي واحد وهو الخروج عن كل ما هو مألوف فإن رؤيتهم العملية تختلف عند تطبيق هذا الهدف ، فمنهم من يقوم بتفكيك الكل إلى أجزاء ثم يعيد تركيبها بأسلوب فني غير تقليدي ، ومنهم من تتصف تصميماته بروح المغامرة وعدم وجود الزوايا القائمة مع استخدام الكمرات الطائرة والبروزات المبالغ فيها وكأنها محاولات للانفلات من الجاذبية الأرضية ، ومنهم من يؤمن بأن الاستعراض هو الهدف النهائي للعمارة وتتضمن أعمالهم بعض الرموز والتلميحات والتي يصعب لأول وهلة فهم المقصود من ورائها ، وهي كلها توجهات من أجل الاختلاف والخروج عن المألوف .

لذلك يرى البعض أن التفكيكية فى العمارة تهدف إلى تفكيك الوظيفة عن الشكل، وهذا يؤدى إلى عدم فهمها كما أنها بذلك تبتعد عن هموم المجتمع وبالتالى تنشأ فجوة بين المصمم والمتلقى، وفى هذا المعنى يقول المعمارى العراقى رفعت الجادرجى: «انساق بعض المعماريين مثل أيزنمان وفرانك جهرى وزهاء حديد (معمارية عراقية) وفيليب جونسون (فى أواخر أعماله) وغيرهم وقالوا: لا تهمنا هموم المجتمع.. نحن لا نصنع عمارة للناس حيث إن الإبداع المعمارى هو خلق فراغات تستهوينا لأننا خلقنا هذه الأشكال وهؤلاء أفسدوا مفهوم العمارة من الوجهة الاجتماعية».

والرؤية السابقة ترى أن اتجاه بعض معماريى الحركة التفكيكية هدفه فقط إشباع متعة شخصية للمصمم دون العمل على خلق جسور الاتصال بين العمل المعمارى وهموم ومشاكل المجتمع، وسواء اختلف البعض أو اتفق مع الاتجاه التفكيكى فى العمارة يظل السؤال المطروح على المعماريين المصريين والعرب والذى يشكل علامة استفهام كبيرة: أين يقف الفكر المعمارى المصرى والعربى من هذه الاتجاهات؟ هل سيتم الاكتفاء بالتقليد والنقل فقط؟ أم أنه يمكن الاستفادة من هذه الاتجاهات بأسلوب يتوافق مع البيئة المحلية، أم سيظهر من هؤلاء المعماريين من لديه القدرة على الخلق والإبداع لإفراز اتجاهات فكرية معمارية ترتبط بهموم المجتمعات العربية وتعبر عن هويتها؟..

أسئلة مطروحة سنعرف إجابتها فى السنوات القادمة.

العمارة الخضراء

إن العمارة الخضراء أحد الاتجاهات الحديثة فى الفكر المعمارى والذى يهتم بالعلاقة بين المبانى والبيئة، ولكى نتفهم هذا الفكر "الأخضر" فيجب أن نتعرف أولاً على التعريفات الأساسية له، ومن أهم المؤلفات فى هذا المجال كتاب "العمارة الخضراء"Green Architecture والذى قام بتأليفه كل من "برندا وروبرت فال" وفيه يقومان بتعريف المدخل الأخضر للبيئة المبنية على أنه مدخل شمولى لتصميم المبانى، حيث إن كل الموارد فى صورة المواد أو الطاقات يجب أخذها فى الاعتبار إذا أردنا أن نحقق العمارة المستديمة أو المتواصلة.

أما كين يانج ken yeang فلقد ناقش مفهوم العمارة الخضراء من وجهة نظر بيئية، فهو منزعج من تأثير المبانى على الأنظمة الطبيعية، وهو يرى أن العمارة الخضراء أو المستديمة يجب أن تقابل احتياجات الحاضر دون إغفال حق الأجيال القادمة لمقابلة احتياجاتهم أيضاً، فالقرارات التصميمية لا تنحصر تأثيراتها على البيئة فقط ولكن يمتد تأثيرها للأجيال القادمة أيضاً، وتعريفه هذا يؤكد على أن العملية التصميمية يحاول فيها المصمم التقليل من التأثيرات العكسية على النظام البيئى للأرض والموارد الطبيعية، ويتم إعطاء الأولوية لتقليل هذه التأثيرات.

وفى وجهة نظر البعض فإن العمارة الخضراء منظومة عالية الكفاءة تتوافق مع محيطها الحيوى بأقل أضرار جانبية، فهى دعوة

إلى التعامل مع البيئة بشكل أفضل يتكامل مع محدداتها، تسد أوجه نقصها أو تصلح عيبها أو تستفيد من ظواهر هذا المحيط البيئى ومصادره، ومن هنا جاء وصف هذه العمارة بأنها "خضراء" مثلها كالنبات الذى يحقق النجاح فى مكانه حيث إنه يستفيد استفادة كاملة من المحيط المتواجد فيه للحصول على متطلباته الغذائية، فالنبات كلما ازداد عمراً ازداد طولاً فهو لم يخلق مكتملاً منذ بدايته حتى يصل إلى مرحلة الاستقرار، ومن هذه الناحية بالذات اقترن اسم العمارة الخضراء بمرادف آخر وهو التصميم المستدام Sustainable Design .

وعلى ذلك يمكن تعريف العمارة الخضراء من مجمل الآراء السابقة بأنها : «عملية تصميم المبانى بأسلوب يحترم البيئة مع الأخذ فى الاعتبار تقليل استهلاك الطاقة والمواد والموارد مع تقليل تأثيرات الإنشاء والاستعمال على البيئة، مع تعظيم الانسجام مع الطبيعة».

وقد بدأ الاهتمام يتزايد بفكرة المنزل الصحى وبدراسة تأثير الملوثات والسموم على صحة الأشخاص داخل المبانى، وهو ما لم تنتبه إليه الحركات الداعية لحماية البيئة حتى فترة قريبة.

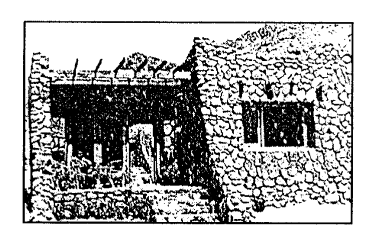
وفى عام ١٩٨٠ ألف د. ألفريد زام Alfred zamm كتاباً بعنوان «لماذا يمكن أن يشكل منزلك خطراً على صحتك؟» يحذر فيه الأمريكيين من المخاطر المتواجدة فى منازلهم، وفى إنجلترا قام جان مونرو Jean Monro بتصميم مستشفى خاص خالية من السموم والملوثات، أما كتاب دبرا داد Debra dadd المنزل الخالى من

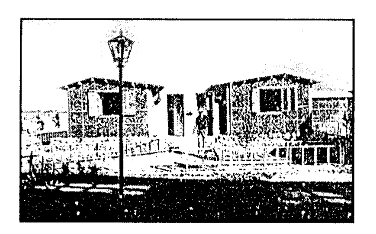
السموم The Non-toxic Home فيقدم اختيارات للسكان الجدد وكذلك المعماريون لتصميم مبان خالية من السموم فى أجزاء مختلفة من أمريكا.

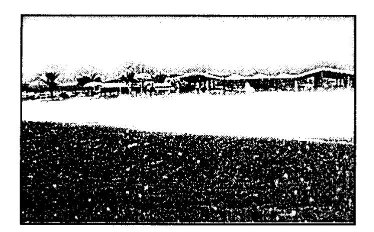
ومن أهم الحركات التى ظهرت وتم تطويرها فى البلاد الناطقة باللغة الألمانية هى حركة «بيولوجيا البناء» Building biology وهى تتبنى مدخلاً علمياً يحتوى على نظرة شمولية للعلاقة بين الناس والمبانى حيث يتم مقارنة المبنى بكائن حى يمثل للإنسان طبقة الجلد الثالثة Third skin (الملابس تمثل للإنسان طبقة الجلد الثانية) والتى تحقق له العزل والحماية.

إن هدف هذه الحركة تصميم مبان تحقق للإنسان الاحتياجات الفسيولوجية والروحية على حد سواء، فالمبنى بعناصره وألوانه وحتى بروائحه يجب أن يتفاعل ويتجانس مع كل من السكان والبيئة المحيطة، ويعتبر من رواد هذه المدرسة «أنطون شنيدر» Anton schneider والذى أقام معهد «بيولوجيا البناء والبيئة» عام **١٩٧٦** فى ألمانيا الغربية، وتوجد له فروع الآن فى انجلترا وأمريكا.

وقد بدأ تزايد اهتمام بعض الحكومات بقضايا البيئة بصفة عامة وبفكرة العمارة الخضراء بصفة خاصة فى التسعينات من القرن العشرين لدرجة أن الرئيس الأمريكى بيل كلينتون أعلن فى «يوم الأرض» عام **١٩٩٣** تخضير البيت الأبيض ومع أواخر عام **١٩٩٤** اتخذ **٥٠** إجراءاً يشمل الإضاءة وتطوير تركيبات المياه بجانب خطوات إضافية للتخطيط للعشرين سنة القادمة، وتطبيقاً لنفس المبدأ أعلنت حكومة تايلاند عام **١٩٩٤** إقامة مبنى للمكاتب يضم





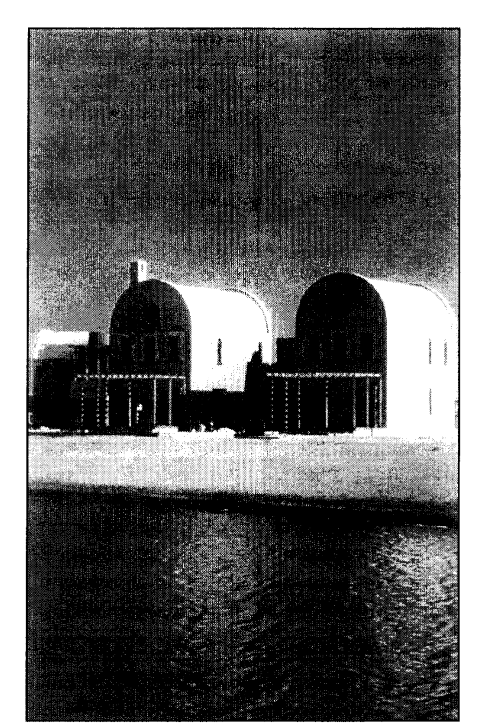


العمارة الخضراء.. دعوة لاستخدام المواد الطبيعية واحترام البيئة المحيطة

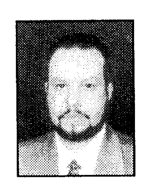
٢٥ طابقاً في مدينة بانكوك، ويستخدم ٢٠٪ من الطاقة المستخدمة في المباني التقليدية وذلك باستخدام تقنيات متقدمة في التبريد مناسبة للمناخ الاستوائي.

أما في مصر فقد أظهرت الدولة اهتماماً بفكرة العمارة الخضراء من خلال "جهاز تخطيط الطاقة" حيث قام بتنظيم ندوة عن العمارة الخضراء عام ١٩٩٦، ثم قام بعمل دورات تدريبية للمعماريين في هذا المجال خلال عامي ١٩٩٧و١٩٩٨، وانتهى بإقامة مسابقة معمارية لتصميم مساكن في منطقة "توشكى" تحت عنوان "العمارة الخضراء في توشكى" من أجل تطبيق مفاهيم العمارة الخضراء في تصميم هذه المساكن، ولكن لم يتم الاستفادة من الأفكار المعمارية الفائزة بصورة فعلية على مستوى الواقع العملي.

إن التحدى على مستوى العالم والذى يواجه صانعي السياسة يماثل نفس التحدى الذى يواجه العاملين في مجال البناء، ولن يستطيع إجراء واحد منفرد معالجة المشكلات الأساسية في المباني الحديثة، ولكن يستطيع المجتمع ككل البدء في عملية التغيير بالرغم من صعوبة الطريق، فالهدف بسيط وهام، بحيث يستطيع الجميع العمل من أجل تحقيقه، ألا وهو: خلق منزل صحى وآمن لبني البشر.



أحد مبانى قرية «الجونة» بالبحر الأحمر
(نموذج للعمارة التى تحترم البيئة المحلية)



السيرة الذاتية
للمؤلف
دكتور مهندس / يحيى وزيرى

* حائز على بكالوريوس الهندسة المعمارية من جامعة القاهرة عام ١٩٨٢ .

* دبلوم الدراسات الإسلامية من معهد الدراسات الإسلامية عام ١٩٩٢ .

* دبلوم الموارد الطبيعية من معهد البحوث والدراسات الأفريقية عام ١٩٩٤ .

* ماجستير ودكتوراه من قسم الموارد الطبيعية بمعهد البحوث والدراسات الأفريقية فى مجال المناخ التطبيقى على العمارة (تخصص موارد جوية) .

* مهندس استشارى فى مجال التصميم الداخلى، وخبير العمارة الإسلامية والبيئية .

* له العديد من الأبحاث والمقالات والمؤلفات العلمية المنشورة، كما شارك فى العديد من المؤتمرات والندوات الدولية فى كل من مصر والمغرب والسعودية وباكستان وأسبانيا .

* في عام ١٩٨٨ رشحته محافظة القاهرة لجائزة منظمة العواصم والمدن الإسلامية وذلك عن فيلمه التسجيلى «كرنفال العمارة المصرية»، كما رشحته فى عام ١٩٨٩ لجائزة منظمة المدن العربية عن تصميم «مسجد كلية الطب البيطرى»، وفى عام ١٩٩٩ رشحته لجائزة منظمة العواصم والمدن الإسلامية فى مجال التأليف المعمارى.
* في عام ١٩٩٠ اختارته منظمة المدن العربية ضمن اللجنة التى تقوم بترشيح المدن والمشاريع والمعماريين لجوائز المنظمة.
* في عام ٢٠٠٠ تم اختياره استشارياً للجنة «إعداد الكود المصرى لمبانى المعوقين»، وشارك فى أعمال مراجعة الكود ووضع الصياغة النهائية له.

• الكتب والمؤلفات العلمية:

١ - «كلمات عن العمارة»، مجموعة مقالات منشورة فى جريدة الأخبار المصرية.

٢ - «خواطر الشيخ الشعراوى حول عمران المجتمع الإسلامى» (جمع وتحليل)، مكتبة التراث الإسلامى.

٣ - «التعمير فى القرآن والسنة».

٤ - «المدخل إلى تصميم مبانى المعوقين».

٥ - «موسوعة عناصر العمارة الإسلامية»، مكتبة مدبولى.

٦ - «تطبيقات على عمارة البيئة»، مكتبة مدبولى.